السياسيات

العلمان المصرى والانجليزى فى مدينة الخرطوم

رُوَيْدَكَ حتّى يَخْفُقَ العَلَمانِ (١) * وتَنْظُرَ مَا يَجْرِى به الفَتَيانِ

فما مِصْرُ كالسُّودانِ لُقْمَةُ جائعٍ * ولكنّها مَرْهُونَةٌ لأَوَانِ (٢)

دَعانى وما أَرْجَفْتُما باحتمالِه * فإنّى بمَكْرِ القَوْمِ "شِقٌّ" زمانِى (٣)

أَرَى مِصْرَ والسُّودَانَ والهِنْدَ واحِدًا * بها اللُّرْدُ والفِيكُنْتُ يَسْتَبِقانِ

وأَكْبَرُ ظَنِّى أنّ يومَ جَلائِهِمْ * ويومَ نُشُورِ الخَلْقِ مُقْتَرِنانِ (٤)

إذا غاضَتِ الأَمْواهُ مِنْ كلِّ مُزْبِدٍ * وخَرَّتْ بُرُوجُ الرَّجْمِ للحَدَثانِ (٥)

---

(١) الفتيان : الليل والنهار . يخاطب صاحبه يقول : تمهل حتى يخفق على السودان العلمان ، و يكمل للإنجليز تملكه ، فإنهم بعد سيملكون مصر كما ملكوا السودان .

(٢) يشير بهذا البيت الى توقع أخذ مصر كما أخذ السودان ، وأن الاستيلاء عليها ليس فى سهولة الاستيلاء عليه ، ولكن ذلك مرهون بالوقت الملائم .

(٣) ما أرجفتما ، أى ما خضتما فيه من القول الذى لم يصح . و باحتماله ، أى باحتمال وقوعه وتحققه ؛ وهو جلاء الإنجليز عن مصر . ويريد «بالقوم» : الانجليز . وشق (بكسر الشين) : كاهن عربى قديم اشتهر بمعرفة الغيب ، وكان فى زمن كسرى أنوشروان .

(٤) يوم النشور : يوم القيامة .

(٥) غاض الماء : قل فنضب . والأمواه : جمع ماء . والمزبد : البحر يقذف بالزبد . والحدثان (محركة) : اسم بمعنى حوادث الدهر ونوائبه .

obeikandi.com

وعادَ زمانُ السُّمْهَرِيِّ وَرَيِّه * وحُكْمَ فى الهَيْجاءِ كلِّ يمانِى (١)

هُناكَ اذكُرَا يومَ الجَلاءِ ونَبِّها * نِياماً عليهم يَنْدُبُ الهَرَمانِ (٢)

إلى مولاى عبد العزيز سلطان مراكش

قالها وقد اقترح المؤيد على الشعراء أن ينظموا فى عتاب مولاى عبد العزيز سلطان مراكش

[نشرت فى ٤ إبريل سنة ١٩٠٤ م]

(عبدَ العزيز) لقد ذَكَّرْتَنا أُمَماً * كانتْ جِوارَكَ فى لَهْوٍ وفى طَرَبِ (٣)

ذَكَّرْتَنا يومَ ضاعَتْ أرضُ أَنْدَلُسٍ * الحَرْبُ فى البابِ والسُّلْطانُ فى اللَّعِبِ

فاحذَرْ على التَّخْتِ أنْ يَسْرِى الخرابُ له * فتَخْتُ (سُلْطانةٍ) أَعْدَى مِن الجَرَبِ (٤)

(١) السمهرى : الرمح الصلب . أو هو المنسوب الى رجل من العرب اسمه سمهر، كان مشهورا بصنع الرماح . والهيجاء : الحرب . واليمانى : السيف ، نسبة الى اليمن ، لأن أجود السيوف كان يصنع بها .

(٢) هناك اذكرا : جواب «لإذا» فى البيت السابق . يقول : اذا ظهرت أمارات الساعة من غيض مياه البحار ... الخ ، أو وقع المستحيل ، فعاد الزمن الى سيرته الأولى أيام كان القتال بالسيوف والرماح فانتظرا إذ ذاك خروج الإنجليز من مصر .

(٣) عبد العزيز سلطان مراكش ، هو ابن السلطان مولاى الحسن ، وكان مولده سنة ١٢٩٦ هـ . تولى الملك بعد وفاة أبيه فى ٤ ذى الحجة سنة ١٣١١ هـ ، ثم خلع فى سنة ١٣٢٦ هـ وسنة ١٩٠٨ م . وكان معروفا بالإخلاد الى المجون واللهو ، حتى إنه بعث الى مصر فى طلب جماعة من المطربين والمطربات ، فسافر اليه جماعة منهم ، فأنكر عليه المسلمون فعله ، لاسيما مصر ، وكتبت الصحف مستهجنة هذا الصنيع من سلطان مسلم ، وأكثر الشعراء فى ذلك من المقطعات الطريفة .

(٤) يريد «بالتخت» الأول فى هذا البيت : سرير السلطان ؛ وهو معرّب . و بالثانى : تخت الغناء ، تسمية عامية . وسلطانة : مغنية كانت من المغنيات المشهورات فى مصر فى ذلك العصر ، وكانت بين بعثة الغناء التى سافرت الى سلطان مراكش .

obeikandi.com

غادة اليابان

ضمنها غرامه بغادة يابانية ، وأشاد بالشجاعة التى ظهرت بها أمة اليابان فى الحرب بينها و بين روسيا

[نشرت فى ٦ إبريل سنة ١٩٠٤ م]

لا تَلُمْ كَفِّى إذا السَّيْفُ نَبَا * صَحَّ مِنِّى العَزْمُ والدَّهْرُ أَبَى (١)

رُبَّ ساعٍ مُبْصِرٍ فى سَعْيِه * أَخْطَأَ التَّوفِيقَ فيما طَلَبَا

مَرْحَبًا بالخَطْبِ يَبْلُونى إذا * كانت العَلْيَاءُ فيه السَّبَبَا (٢)

عَقَّنِى الدَّهْرُ ولولا أنّنى * أُوثِرُ الحُسْنَى عَقَقْتُ الأَدَبَا (٣)

إيهِ يا دُنْيا اعْبِسى أو فابْسِمِى * لا أَرَى بَرْقَكِ إلّا خُلَّبَا (٤)

أَنا لولا أنّ لى مِنْ أُمَّتى * خاذِلاً ما بِتُّ أَشْكو النُّوَبَا

أُمَّةٌ قد فَتَّ فى ساعِدِها * بُغْضُها الأَهْلَ وحُبُّ الغُرَبَا (٥)

تَعْشَقُ الأَلْقابَ فى غَيْرِ العُلا * وتُفَدِّى بالنُّفُوسِ الرُّتَبَا

وهى والأَحْداثُ تَسْتَهْدِفُها * تَعْشَقُ اللَّهْوَ وتَهْوَى الطَّرَبَا (٦)

لا تُبالِى لَعِبَ القَوْمُ بها * أَمْ بها صَرْفُ اللَّيالِى لَعِبَا (٧)

---

(١) نبا السيف : كل وارتد . (٢) يبلونى : يختبرنى . (٣) عقه : ترك الاحسان اليه ولم يبر به . يقول : إن الدهر لم ينصفنى ، والجانى علىّ هو أدبى ؛ ولولا أننى أوثر الاحسان لهجرت الأدب الذى كان سببا فى شقائى . (٤) البرق الخلب : الذى يطمع الناس فى مطره ويخلفهم .

(٥) فت فى ساعدها : عبارة يكنى بها عن الإضعاف و إنهاك القوى . (٦) والأحداث تستهدفها ، أى أن حوادث الدهر تجعلها هدفا لها ترميه . (٧) يريد «بالقوم» : الانجليز . وصروف الليالى : غيرها ونوائبها . أى أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر .

obeikandl.com

ليتها تسمع مني قصة * ذات شجو وحديثا عجبا (١)

كنت أهوى في زماني غادة * وهب الله لها ما وهبا (٢)

ذات وجه مزج الحسن به * صفرة تنسي اليهود الذهبا

حملت لي ذات يوم نبأ * لا رعاك الله يا ذاك النبا

وأتت تخطر والليل فتى * وهلال الأفق في الأفق حبا (٣)

ثم قالت لي بثغر باسم * نظم الدر به والحببا: (٤)

نبئوني برحيل عاجل * لا أرى لي بعده منقلبا (٥)

ودعاني موطني أن أغتدي * علني أقضي له ما وجبا (٦)

نذبح الدب ونفري جلده * أيظن الدب ألا يغلبا (٧)

قلت والآلام تفري مهجتي: * ويك! ما تصنع في الحرب الظبا؟ (٨)

ما عهدناها لظبي مسرحا * يبتغي ملهى به أو ملعبا

ليست الحرب نفوسا تشترى * بالتمني أو عقولا تستبى (٩)

---

(١) يقال: شجاه شجوا، اذا هيج أحزانه وشوقه. (٢) الغادة: المرأة الناعمة اللينة.

(٣) والليل فتى، أي في أوله. وشبه الهلال في أول طلوعه بالطفل الذي يحبو في مهده.

(٤) الحبب: الفقاقيع التي تعلو سطح الماء، شبه بها الأسنان في بياضها. (٥) المنقلب: العودة والرجوع. (٦) أغتدي، أي أبادر مبكرة للدفاع عنه. (٧) الدب: رمز تعرف به روسيا، كما تعرف انجلترا بالأسد، واليابان بالتنين، وألمانيا بالنسر. ونفري: نشق. ويشير بهذا البيت الى الحرب التي نشبت بين اليابان وروسيا في ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م وانتهت بالصلح في يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م. (٨) الظبا: الظباء، وقصر للشعر. (٩) تستبى: تؤسر بالحب.

obeikandi.com

أَحَسِبْتِ القَدَّ مِنْ عُدَّتِها * أم ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فيها كالشَّبَا؟ (١)

فَسَلِينِي ، إنّنى مارَسْتُها * وركِبْتُ الهَوْلَ فيها مَرْكَبا (٢)

وتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فى غارَةٍ * أَسْدَلَ النَّقْعُ عليها هَيْدَبَا (٣)

قَطَّبَتْ ما بين عَيْنَيْها لَنا * فرأيتُ الموتَ فيها قَطَّبا (٤)

جالَ عِزْرائيلُ فى أَنْحائِها * تحتَ ذاكَ النَّقْعِ يَمْشِى الهَيْدَبَى (٥)

فَدَعِيها لِلَّذى يَعْرِفُها * وَٱلزَمِى يا ظَبْيَةَ البانِ الخِبا (٦)

فأجابَتْنِي بصَوْتٍ راعَنِي * وأَرَتْنى الظَّبْيَ لَيْثًا أَغْلَبا : (٧)

إنّ قَوْمِى ٱسْتَعْذَبوا وِرْدَ الرَّدَى * كيف تَدْعُونِى ألّا أَشْرَبا؟

أنا يا بانِيَّةُ لا أَنْثَنِي * عَنْ مُرادِى أو أَذُوقَ العَطَبا (٨)

أنا إنْ لَمْ أُحْسِنِ الرَّمْىَ ولَمْ * تَسْتَطِعْ كَفّاىَ تَقْلِيبَ الظُّبَا (٩)

---

(١) القدّ : القامة . والشبا . جمع شباة ، وهى حدّ السنان . (٢) مارستها : عانيتها .

(٣) تقحمت الردى : رميت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدلى من أسافله . وإثارة الغبار وكثرته وارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكرّ والفرّ فيها .

(٤) التقطيب : العبوس . والضمير فى «قطبت» للغارة . (٥) الهيدبى (بالمعجمة والمهملة) : نوع من المشى فيه جدّ . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل من الأرواح فى هذه الحرب .

(٦) البان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، تألفه الظباء . والخبا (بالقصر) : الخباء (بالمد) ، وقصر للشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبر أو صوف ، ويريد به البيت عامة .

(٧) راعنى : أفزعنى . والأغلب من السباع : الغليظ الرقبة ، وهى علامة للقوة . يقول : إنها غضبت من تنقصه لها ، وأنها لا تصلح للحرب ، فأجابته بصوت أفزعه لشدته وقسوته ، واستحالت من ظبى وادع إلى أسد قوى . (٨) العطب : الهلاك . (٩) الظبا : جمع ظبة (بضم الأول) وهى حدّ السيف أو السنان .

obeikandl.com

أَخْدُمُ الجَرْحَى وأَقْضِى حَقَّهُمْ * وأُوَاسِى فى الوَغَى مَنْ نُكِبَا (١)

هٰكذا (المِيكادُ) قد عَلَّمَنا * أَنْ نَرَى الأَوْطَانَ أُمًّا وأَبَا (٢)

مَلِكٌ يكفيكَ منه أنّه * أَنْهَضَ الشَّرْقَ فهَزَّ المَغْرِبَا

وإذا مارَسْتَه أَلْفَيْتَه * حُوَّلًا فى كلِّ أَمْرٍ قُلَّبَا (٣)

كان والتاجُ صغيرَيْنِ مَعًا * وجَلالُ المُلْكِ فى مَهْدِ الصِّبَا

فغَدَا هٰذا سَمَاءً للعُلَا * وغَدا ذٰلكَ فيها كَوْكَبَا

بَعَثَ الأُمَّةَ مِنْ مَرْقَدِها * ودَعَاها للعُلَا أَنْ تَدْأَبَا (٤)

فَسَمَتْ للمَجْدِ تَبْغِى شَأْوَه * وقَضَتْ مِن كلِّ شىءٍ مَأْرَبَا (٥)

الحرب اليابانية الروسية (٦)

[نشرت فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٤ م]

أَسَاحَةٌ للحَرْبِ أَم مَحْشَرُ * ومَوْرِدُ المَوْتِ أَمِ الكَوْثَرُ؟ (٧)

وهٰذه جُنْدٌ أَطَاعُوا هَوَى * أَربابِهِمْ ، أَم نَعَمٌ تُنْحَرُ؟ (٨)

(١) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة . (٢) الميكادو : لقب لملك اليابان .

(٣) الحوّل : الشديد الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى أخرى . والقلب : البصير بتقلب الأمور .

(٤) تدأب : تجدّ فى طلبها . (٥) الشأو : الغاية . (٦) هى تلك الحرب التى نشبت بين اليابان والروس بسبب احتلال الروس لمنشوريا ، وبدأت بنسف اليابانيين جزءا من الأسطول الروسى فى ميناء بورت أرثر فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م ، وانتهت فى سبتمبر سنة ١٩٠٥ م بصلح اعترف فيه بنفوذ اليابان فى كوريا ، وبجلاء الروس عن منشوريا ، وبشروط أخرى فى صالح اليابانيين . (٧) الكوثر : النهر ، وسمى به نهر فى الجنة . شبه (فى الشطر الأول) كثرة المتحاربين وازدحامهم على القتال بازدحام الناس يوم المحشر ؛ وشبه فى الشطر الثانى استعذاب الناس للموت باستعذابهم للكوثر . (٨) النعم : الإبل والشاء واليقر . يريد أن الأرواح قد رخصت فى هذه الحرب وكثر القتل فى الجنود حتى لم تتبين إن كان هؤلاء بشرا يجب حقن دمائهم أو أنعاما تنحر .

obeikandl.com

لِلّهِ ما أَقْسَى قُلوبَ الأُلَى * قامُوا بِأَمْرِ ٱلمُلْكِ وٱستَأْثَرُوا !

وغَرَّهُمْ فى الدَّهْرِ سُلْطانُهُمْ * فأَمْعَنُوا فى الأَرضِ وٱستعمروا (١)

قد أَقْسَمَ البِيضُ بِصُلْبانِهِمْ * لا يَهْجُرونَ الموتَ أَو يُنْصَروا (٢)

وأَقْسَمَ الصُّفْرُ بِأَوْثانِهِمْ * لا يَغْمِدُونَ السَّيفَ أَو يَظْفَروا (٣)

فمادَت الأَرضُ بِأَوْتادِها * حينَ ٱلْتَقَى الأَبْيَضُ والأَصْفَرُ (٤)

وأَثْمَلَتْها خَمْرَةٌ مِنْ دَمٍ * يَلْهُو بِها (المِيكادُ) والقَيْصَرُ

وأَشْبَهَتْ يومَ الوَغى أُخْتَها * إِذْ لاحَ فيها الشَّفَقُ الأَحْمَرُ (٥)

وأَصْبَحَتْ تَشْتاقُ طُوفانَها * لَعَلَّها مِنْ رِجْسِها تَطْهُرُ (٦)

أَشْبَعْتِ يا حَرْبُ ذِئابَ الفَلا * وغَصَّتِ العِقْبانُ والأَنْسُرُ (٧)

ومِيرَتِ ٱلحِيتانُ فى بَحْرِها * ومَطْمَعُ الإِنسانِ لا يُقْدَرُ (٨)

إِنْ كانَ هٰذا الدُّبُّ لا يَنْثَنِى * وذٰلكَ التِّنِّينُ لا يُقْهَرُ (٩)

---

(١) أمعن : بالغ وأبعد .

(٢) يريد «بالبيض» : الروس .

(٣) يريد «بالصفر» : اليابانيين .

(٤) مادت : تحركت وٱضطربت . وأوتاد الأرض : جبالها .

(٥) الضمير فى «أشبهت» للأرض . ويريد «بأختها» : السماء .

(٦) الرجس : النجس . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول المعرى :

والأرض للطوفان مشتاقة * لعلها من درن تغسل

(٧) غصت : امتلأت وتخمت . والعقبان : جمع عقاب ، وهو طائر من الجوارح . والأنسر : جمع نسر . يشير إلى كثرة ما تأكل هذه الجوارح والوحوش من جثث القتلى .

(٨) ميرت ، أى لها بالميرة ، أى بالطعام من جثث القتلى . ولا يقدر ، أى لا يحد ولا ينتهى .

(٩) التنين : الحية العظيمة . ويشير (بالدب) إلى روسيا ، و(بالتنين) إلى اليابان .

oberkandi.com

والبِيضُ لا تَرْضَى بِخِذْلانِها * والصُّفْرُ بعد اليومِ لا تُكْسَرُ

فما لِتِلْكَ الحَرْبِ قد شَمَّرَتْ * عن ساقِها حتَّى قَضَى العَسْكَرُ (١)

سالَتْ نُفوسُ القَوْمِ فَوْقَ الظُّبَا * فسالَتِ البَطْحاءُ والأَنْهُرُ (٢)

وأَصْبَحَتْ (مكْدُنُ) ياقُوتةً * يَغارُ منها الدُّرُّ والجَوْهَرُ (٣)

ياقُوتةً قد قُوِّمَتْ بينهمْ * بأنفُسٍ كالقَطْرِ لا تُحْصَرُ (٤)

أَضْحَى رَسُولُ المَوْتِ ما بينها * حَيْرانَ لا يَدْرِى بما يُؤْمَرُ

عِنْ دِيلُ، هل أَبْصَرْتَ فيما مَضَى * وأنتَ ذاكَ الكَيِّسُ الأَمْهَرُ

كذلك المِدْفَعِ فى بَطْشِه * إذا تَعالَى صَوْتُه المُنْكَرُ؟ (٥)

تَراهُ إنْ أَوْفَى على مُهْجَةٍ * لا الدِّرْعُ يُنْجِيه ولا المِغْفَرُ (٦)

أَمْسَى (كُرُوبَتْكين) فى غَمْرَةٍ * وباتَ (أُويامَا) له يَنْظُرُ (٧)

---

(١) قضى : هلك . ويريد الشاعر بهذا البيت والبيتين اللذين قبله أن الدولتين إذا كانتا قد تكافأتا فى الشجاعة والقوة ، وصممت كلتاهما على ألا تخذل ، ففيم الحرب وإراقة الدماء ، والحرب لا تقوم إلا حيث يكون منتصر ومنهزم . (٢) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو السنان . والبطحاء : مسيل الماء فيه دقاق الحصى ، ويريد به هنا : الفضاء المتسع . (٣) مكدن : مدينة مشهورة فى منشوريا ، وكانت بها الموقعة الفاصلة التى بدأت يوم ٦ مارس سنة ١٩٠٥م . واستمرت خمسة أيام ، وبلغ مجموع ما خسره الفريقان فيها عشرين ومائة ألف مقاتل ، بين قتيل وجريح ، وأسر فيها من الروس أربعون ألفا . يقول : إن هذا البلد قد غطيت أرضه بالدماء حتى أصبحت كأنها ياقوتة حمراء تزرى بالدر والجوهر . (٤) يريد « بالأنفس » فى هذا البيت : من قتل فى هذه المدينة من الفريقين .

(٥) كذلك ، متعلق « بأبصرت » . (٦) أوفى : أشرف . والمغفر : زرد يلبس تحت القلنسوة .

(٧) كروباتكين : قائد الروس فى تلك الحرب . وأوياما : قائد اليابان . والغمرة : الشدة التى تغمر الناس ، أى تعمهم وتشملهم .

obeikandl.com

وظَلَّت (الرُّوسُ) على جَمْرَةٍ * والمَجْدُ يَدْعُوهُمْ أَلا فَاصْبِرُوا

وذَلكَ الأَسْطُولُ ما خَطْبُه (١) * حتّى عَراهُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ؟

أكلَّما لاحَ لَه سابِحٌ (٢) * تحتَ الدُّجَى أو قارِبٌ يَمْخُرُ

ظَنَّ به (طُوجُو) فأَهْدَى له (٣) * تَحِيَّةً (طُوجُو) بها أَخْبَرُ؟

تحيَّةً مِنْ واجِدٍ شَيِّقٍ (٤) * أَنْفاسُه مِنْ حَرِّها تَزْفِرُ

فهل دَرَى القَيْصَرُ فى قَصْرِه (٥) * ما تُعْلِنُ الحَرْبُ وما تُضْمِرُ؟

فكَمْ قَتِيلٍ باتَ فَوْقَ الثَّرَى (٦) * يَنْتابُه الأُظْفُورُ والمِنْسَرُ

وكم جَرِيحٍ باسِطٍ كَفَّه * يَدْعُو أَخاه وهو لا يُبْصِرُ

وكم غَرِيقٍ راحَ فى لُجَّةٍ (٧) * يَهْوِى بها الطَّوْدُ فلا يَظْهَرُ

وكم أَسِيرٍ باتَ فى أَسْرِه * ونَفْسُه مِن حَسْرَةٍ تَقْطُرُ

إنْ لَمْ تَرَوْا فى الصُّلْحِ خَيْرًا لكُمْ * فالدَّهْرُ مِنْ أَطْماعِكُمْ أَقْصَرُ

---

(١) يريد «بالأسطول» : أسطول روسيا . (٢) يمخر : يشق عباب الماء .

(٣) طوجو : أمير من أمراء البحر اليابانيين المعروفين بالقوة ، وهو الذى نسف أسطول بحر البلطيق الروسى فى موقعة تسوشيما فى ٢٧ مايو سنة ١٩٠٥ م ، وقضى بذلك على كل أمل للروس فى هذه الحرب .

(٤) يريد «بالواجد الشيق» : المدفع . ويريد «بالتحية» : مايصبه المدفع على السفينة من مقذوفاته ؛ ولا يخفى ما فى هذا من التهكم . (٥) يقول : هل علم القيصر وهو ناعم مطمئن فى قصره بويلات الحرب ، ما ظهر منها وما بطن ، فيثنيه ذلك عن إثارتها والاستمرار فيها . (٦) الأظفور : الظفر . والمنسر (كمجلس ومنبر) : منقار الطائر . يقول : إن القتلى أصبحوا فوق الثرى نهبا للسباع المفترسة والطيور الكاسرة . (٧) اللجة : معظم البحر . والطود : الجبل العظيم . يصف اللجة بالعمق بحيث لو هوى فيها الجبل لم يظهر .

تَسُوءُنا الحَرْبُ وإنْ أَصْبَحَتْ * تَدْعُو رِجالَ الشَّرْقِ أنْ يَفْخَرُوا
أَتَى على الشَّرْقِ حِينٌ إذا * ما ذُكِرَ الأَحْياءُ لا يُذْكَرُ
ومَرَّ بالشَّرْقِ زَمانٌ وَمَا * يَمُرُّ بالبالِ ولا يَخْطِرُ
حتّى أعادَ (الصُّفْرُ) أيّامَه * فانتَصَفَ الأَسْوَدُ والأَسْمَرُ
فرَحْمَةُ اللهِ على أُمَّةٍ * يَرْوِي لها التاريخُ ما يُؤْثَرُ (١)

الى الامبراطورة أوچينى (٢)

نظم هذه القصيدة إجابة لاقتراح صحيفة المؤيد على الشعراء أن ينظموا فى هذه الامبراطورة، ويوازنوا بين مجيئها إلى مصر متنكرة تنزل فى فندق سافواى ببورسعيد، ومجيئها قبل ذلك فى سنة ١٨٦٩ فى افتتاح قناة السويس، واستقبال الخديوى اسماعيل إياها استقبالا فخما.

[نشرت فى ٢٦ يناير سنة ١٩٠٥ م]

أَيْنَ يومُ (القَنَالِ) يا رَبَّةَ التّا * جِ ويا شَمْسَ ذٰلِكَ المِهْرَجانِ (٣) ؟
أين مُجْرِى القَنالِ أين مُمِيتُ الـ * ـمالِ أينَ العَزيزُ ذُو السُّلْطانِ (٤) ؟

---

(١) يريد «بالأمة» هنا: مصر، يتحسر عليها ويندب ماضيها.

(٢) ولدت أوچينى فى غرناطة فى ٥ مايو سنة ١٨٢٦ م. وفى ٣ يناير سنة ١٨٥٣ تزوجها نابليون الثالث؛ وكانت فيمن حضر الى مصر لافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩؛ وقد أنفق الخديوى اسماعيل باشا فى استقبالها الكثير من المال؛ وبعد وفاة زوجها هجرت فرنسا الى إنجلترا، ثم تركت إنجلترا إلى مدريد، وبها ماتت فى ١١ يوليه سنة ١٩٢٠ م.

(٣) المهرجان: عيد للفرس، ويطلق الآن على كل عيد.

(٤) مجرى القنال، يريد اسماعيل باشا الخديوى. وإماتة المال: كناية عن الإسراف والاتساع فى البذل.

obeikandl.com

أين هارُونُ مِصْرَ؟ أين أبو الأشْـ * ـبالِ رَبُّ القُصورِ رَبُّ القِيانِ؟ (١)

أين لَيْثُ الجَزيرَةِ (ابنُ عَلِيٍّ) * واهِبُ الألْفِ مُكْرِمُ الضِّيفانِ؟ (٢)

أين ذا القَصْرُ بالجَزيرَةِ تَجْرِى * فيه أَرْزَاقُنا وتَحْبُو الأَمانِى؟

فيه للنَّحْسِ كَوْكَبٌ مُسْرِعُ السَّيْـ * ـرِ وللسَّعْدِ كوكبٌ مُتَوانِى (٣)

قد جَرَى النِّيلُ تحتَه بخُشُوعٍ * وانْكسارٍ وهابَهُ الفَتَيانِ (٤)

كنتَ بالأمْسِ جَنَّةَ الحُورِ يا قَصْـ * ـرُ فأَصْبَحْتَ جَنَّةَ الحَيَوانِ

خَطَرَ اللَّيْثُ فى فِنائِكَ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَسْرَحًا لِلْحِسانِ (٥)

وعَوَى الذِّئْبُ فى نَواحِيكَ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَعْقِلًا لِلْسانِ (٦)

وحَباكَ الزُّوّارُ بالمالِ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَصْدَرَ الإحْسانِ (٧)

كنتَ تُعْطِى، فمالَكَ اليَوْمَ تُعْطَى * أينَ بانِيكَ؟ أينَ رَبُّ المَكانِ؟

إنْ أَطافَتْ بك الخُطوبُ فهٰذِى * سُنَّةُ الكَوْنِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمانِ

---

(١) هارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف ، وشبه به إسماعيل فى ترفه وجاهه وسعة سلطانه ، وما حفلت به أيامه من مجالس اللهو والغناء ، وما عرف به من كرم وسخاء . والأشبال : أولاد إسماعيل . والقيان : الإماء المغنيات .

(٢) يشير بقوله : «ليث الجزيرة» الى أن إقامة إسماعيل كانت بقصر الجزيرة الذى صار حديقة الحيوان ، كما سيشير الشاعر الى ذلك بعد . وابن على ، لأنه حفيد محمد على .

(٣) يريد أن صاحب هذا القصر اذا غضب فسرعان ما يزول غضبه ، وإذا أقبل طال إقباله ، فكأنه فى غضبه كوكب نحس ما طلع حتى غاب ، وفى رضاه كوكب سعد طويل الإقامة ، بطىء السير .

(٤) الفتيان : الليل والنهار ؛ يريد الدهر .

(٥) الفناء : الساحة .

(٦) معقل للسان ، أى حابس له عن الكلام هيبة لصاحب القصر وخوفا من بطشه .

(٧) حباه : أعطاه . يشير إلى مايدفعه كل داخل إلى حديقة الحيوان .

رُبَّ بانٍ نَأَى، ورُبَّ بِناءٍ * أَسْلَمَتْه النَّوَى إلى غيرِ بانِي (١)

تلك حالُ الإيوانِ يا رَبَّةَ التا * جِ فما حالُ صاحِبِ الإيوانِ؟ (٢)

قد طَواهُ الرَّدَى ولو كان حَيًّا * لَمَشَى فى رِكابِكِ الثَّقَلانِ (٣)

وتولَّتْ حِراسَةَ المَوْكِبِ الأَسْـ * ـنَى نجومُ السَّماءِ والنَّيِّرانِ (٤)

إن يكن غابَ عَنْ جَبينِكِ تاجٌ * كان بالغَرْبِ أَشْرَفَ التِّيجانِ

فلقد زانَكِ المَشيبُ بتاجٍ * لا يُدانيه فى الجَلالِ مُدانِي

ذاكَ مِنْ صَنْعَةِ الأنامِ وهٰذا * مِن صَنيعِ المُهَيْمِنِ الدَّيَّانِ

كنتِ بالأَمْسِ ضَيْفَةً عندَ مَلْكٍ * فَأَنْزِلِي اليومَ ضَيْفَةً فى خانِ (٥)

وأَعِدِّينا على القُصورِ، كِلانا * غَيَّرَتْه طَوارِئُ الحِدْثانِ (٦)

---

(١) نأى : بعد وذهب . والنوى : البعد . يقول : قد يذهب بانى الدار ويخلفه عليها من لم يبنها .

(٢) يريد «بالإيوان» : القصر، وهو فى الأصل الصفة العظيمة ؛ أعجمى معرب .

(٣) الردى : الهلاك والموت . والثقلان : الإنس والجن . ويشير بهذا البيت والذى بعده الى ما كان أعده لها اسماعيل باشا حين حضرت الى مصر سنة ١٨٦٩ م، فى مهرجان فتح قناة السويس من ضروب الحفاوة والإكرام .

(٤) الأسنى، من السناء، وهو الرفعة . والنيران : الشمس والقمر .

(٥) الخان : الحانوت . ويريد به هنا : الفندق . يريد أنها بعد أن كانت تنزل فى قصر ملك أصبحت تنزل فى الفنادق حيث ينزل عامة الناس .

(٦) القصور : التقصير . والحدثان (بكسر الحاء وسكون الدال) : النوائب .

عيد تأسيس الدولة العلية

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى فندق (الكونتنتال) فى مساء الجمعة ٢٦ يناير سنة ١٩٠٦ م

أَيُحْصِى مَعانِيكَ القَرِيضُ المُهَذَّبُ * على أنّ صَدْرَ الشِّعْرِ لِلْمَدْحِ أَرْحَبُ

لقد مَكَّنَ الرَّحْمٰنُ فى الأَرْضِ دَوْلَةً * لِعُثْمانَ لا تَعْفُو ولا تَتَشَعَّبُ (١)

بَناها فظَنَّتْها الدَّرارِى مَنازِلًا * لِبَدْرِ الدُّجَى تُبْنَى وللسَّعْدِ تُنْصَبُ (٢)

وقامَ رِجالٌ بالإمامَةِ بَعْدَه * فزادُوا على ذَاكَ ٱلبِناءِ وطَنَّبُوا (٣)

وَرَدُّوا على الإسْلامِ عَهْدَ شَبابِه * ومَدُّوا له جاهًا يُرَجَّى ويُرْهَبُ

أُسُودٌ على البُسْفُورِ تَحْمِى عَرِينَها * وتَرْعَى نِيامَ الشَّرقِ والغَرْبُ يَرْقُبُ (٤)

لها وَثَباتٌ تحت ظِلِّ هِلالِها * كما مَرَّ سَهْمٌ أَو كما ٱنقَضَّ كَوْكَبُ (٥)

إذا راعَها مَسٌّ مِنَ الضَّيْمِ خِلْتَها * كَمَنْ راعَه بالمَسِّ سِلْكٌ مُكَهْرَبُ (٦)

وإنْ هَزَّها ذاكَ الهِلالُ لحادِثٍ * رأيتَ قَضاءَ اللهِ يَمْشِى ويَرْكَبُ (٧)

إذا ضاءَتِ الأَحْسابُ يومًا لمُعْرِقٍ * فعُثْمانُ خَيْرُ الفاتِحِينَ لهم أَبُ (٨)

---

(١) عثمان ، هو عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية ، وإليه تنسب ؛ ولد سنة ٦٥٦ هـ ، وتولى السلطنة سنة ٦٩٩ هـ ، وتوفى سنة ٧٢٦ هـ . وتعفو : تندثر وتمحى . وتتشعب : تتفرق .

(٢) الدرارى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : الكواكب المضيئة الصافية البياض ، الواحد درى .

(٣) طنبوا البناء : مكنوه وزادوه منعة وقوة . وأصل التطنيب : شد الخيمة بالأطناب ، وهى الحبال .

(٤) العرين : مأوى الأسد . (٥) يريد « بهلالها » : رايتها المرسوم فيها الهلال ، وهو شعار الدولة العثمانية . (٦) راعها : أفزعها . (٧) يشير بقوله « يمشى ويركب » : إلى مشاة الجيش وفرسانه . (٨) المعرق : الذى له عرق وأصل فى الكرم .

obeikandl.com

وإنْ تاهَ بالأَبْنَاءِ والبَأْسِ والِدٌ * فأَوْلَى الوَرَى بالتِّيهِ ذاكَ المُعَصَّبُ (١)

فهٰذا سُلَيْمانٌ وقانُونُ عَدْلِهِ * على صَفَحاتِ الدَّهْرِ بالتِّبْرِ يُكْتَبُ (٢)

وذَاكَ الَّذى أَجْرَى السَّفِينَ على الثَّرَى * وسارَ له فى البَرِّ والبَحْرِ مَرْكَبُ (٣)

على بابِهِ العالِي هُنَاكَ تَأَلَّقَتْ * سُطورٌ لأَقْلامِ الجَلالةِ تُنْسَبُ (٤)

هُنا فَاخْفِضُوا الأَبْصارَ عَرْشُ مُحَمَّدٍ * هُنا الفاتِحُ الغازِي الكَمِيُّ المُدَرَّبُ (٥)

وما كانَ مِنْ (عَبْدِ المَجِيدِ) إذ احْتَمَى * بأَكْنافِهِ (كُوشُوطُ) والخَطْبُ غَيْهَبُ (٦)

---

(١) المعصب : المتوج . (٢) سليمان ، هو سليمان القانونى ، السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان ، وهو ابن السلطان سليم . ولد سنة ٩٠٠ هـ . وتولى الملك سنة ٩٢٦ هـ . ومات سنة ٩٧٤ هـ . وقد لقب بالقانونى لأنه وضع قانونا للدولة تسير على مقتضاه .

(٣) يشير بهذا البيت الى الطريقة التى اتبعها محمد الفاتح فى مهاجمة القسطنطينية ، وتسييره سفنه على البر حتى وصل بها إلى القرن الذهبى . (٤) تألقت : أضاءت ولمعت . (٥) الكمى : الشجاع . ومحمد ، هو محمد الملقب بالفاتح ، وهو السلطان السابع من سلاطين آل عثمان . ولد سنة ٨٣٣ هـ . وتولى الملك سنة ٨٥٥ هـ وهو فى الحادية والعشرين من عمره ، فبادر بالتأهب لفتح القسطنطينية . وفى سنة ٨٥٧ هـ — ١٤٥٣ م تم له فتحها ؛ وتوفى فجأة سنة ٨٨٦ هـ . ومدة ملكه إحدى وثلاثون سنة .

(٦) الغيهب : الشديد السواد . وعبد المجيد ، هو السلطان الحادى والثلاثون من سلاطين آل عثمان ، ولد سنة ١٢٣٧ هـ ، وتولى السلطنة سنة ١٢٥٥ هـ بعد وفاة أبيه السلطان محمود ، وتوفى سنة ١٢٧٧ هـ ، ومدة جلوسه اثنان وعشرون عاما . ويشير الشاعر بهذا البيت والذى بعده إلى ماحدث سنة ١٨٤١ م ، وذلك أن جماعة من الفارين ، ما بين بولونيين ومجريين ، التجأوا إلى البلاد العثمانية ليستمتعوا فيها بالسكون والهدوء ، بعد أن نالهم الشيء الكثير من الظلم والاضطهاد والعذاب على أيدى النمساويين والروس الذين قمعوا الثورات الناشبة فى بولونيا والمجر ، وكان بين هؤلاء الفارين زعماء مشهورون ، منهم (كوشوط) المجرى المذكور فى هذا البيت ؛ وكان زعيم ثورة يقصد بها تحرير المجر ، فطلبت النمسا والروسيا من الدولة العثمانية تسليمهم ، فرفض ذلك السلطان عبد المجيد بحجة أن هذا التسليم لا تقره شريعة ولا خلق ، وعضده فى ذلك سفير بريطانيا إذ ذاك ، فكان ذلك سببا لقطع العلاقات بين الدولة العلية وبين النمسا وروسيا ؛ ولولا ظهور الأسطولين الإنجليزى والفرنسى فى مياه الدردنيل لتفاقم الخطب ووقعت الحرب .

obeikandl.com

يُنادِيهِمُ : أَمّا نَزِيلِي فَدُونَه * حَيَاتِي ، وأَمّا صَارِمِي فَمُشَطَّبُ (١)

فإنْ كانت الحُسْنَى فإنِّي سَمَاؤُها * وإنْ كانت الأُخْرَى فشُدُّوا وجَرِّبُوا

كَذَلِكَ كانُوا يَسْتَقِرُّونَ فى الذُّرَا * وأَعْدَاؤُهُمْ فى الغَرْبِ تَشْقَى وتُنْكَبُ (٢)

فكَمْ طَلَبُوا منهمْ أَمَانًا فأَمَّنُوا * وأَمْسَى لهمْ فى الشَّرْقِ مَسْرًى ومَسْرَبُ (٣)

فكان أَمَانَ القَوْمِ والشَّرْقُ مَشْرِقٌ * فأَضْحَى امتِيازَ القَوْمِ والشَّرْقُ مَغْرِبُ (٤)

يقولون : فى هٰذِى الرُّبُوعِ تَعَصُّبٌ * وأَىُّ مَكانٍ ليسَ فيه تَعَصُّبُ؟

فيا شَرْقُ إنّ الغَرْبَ إنْ لانَ أو قَسَا * ففِيه مِنَ الصَّهْبَاءِ طَبْعٌ مُذَوَّبُ (٥)

خَفَّفْ بأْسَها فى الرَّأْسِ والرَّأْسُ يَصْطَلِي * وخَفْ ضَعْفَها فى الكَأْسِ والكَأْسُ تُطْرِبُ

ويا غَرْبُ إنّ الدَّهْرَ يَطْفُو بأَهْلِه * ويَطْوِيه تَيّارُ القَضاءِ فيَرْسُبُ (٦)

أَراكَ مَقَرَّ الطامِعِينَ كأَنَّما * على كُلِّ عَرْشٍ مِنْ عُرُوشِكَ (أَشْعَبُ) (٧)

---

(١) الصارم : السيف القاطع . والمشطب : الذى فيه شطب ، وهى الخطوط والطرائق التى فى نصله .

(٢) الذرا : جمع ذروة (بالكسر والضم) ، وهى المكان المرتفع .

(٣) الضمير فى «طلبوا» يعود على قوله «أعداؤهم» فى البيت السابق . ومنهم ، أى من آل عثمان . والمسرب : المذهب والطريق .

(٤) يريد « بالقوم » : الافرنج . ويشير بهذا البيت والذى قبله إلى ما نالوه من بعض سلاطين آل عثمان من منح أعطيت لهم لتيسير سبل التجارة ، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم فى بلاد الشرق ، أيام قوة الدولة العثمانية ، ثم صارت هذه المنح بعد ضعفها امتيازات تمسك بها الغربيون وأوذيت بها تركيا ورعاياها .

(٥) الصهباء : الخمر .

(٦) يطفو : يعلو . ويرسب : يهبط ويسفل .

(٧) أشعب : رجل من المدينة كان مولى لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ؛ ويضرب به المثل فى الطمع ، فيقال : « أطمع من أشعب » .

حادثة دنشـــواى (١)

[نشرت فى ٢ يوليه سنة ١٩٠٦ م]

أيُّها القائِمُونَ بالأَمْرِ فِينا * هَـلْ نَسِـيتُمْ وَلاءَنا والـوِدادَا (٢)

خَفِّضُـوا جَيْشَكُمْ ونَامُـوا هَنِيئًا * وابتَغُـوا صَيْدَكُمْ وجُوبُوا البِلادا (٣)

وإذا أَعْوَزَتْـكُمُ ذاتُ طَـوْقٍ * بين تِلْك الرُّبَا فصِـيدُوا العِبادا (٤)

إنّما نَحْنُ والحَمَامُ سَـواءٌ * لَمْ تُغَـادِرْ أَطْـوَاقُنا الأَجْيادا (٥)

لا تَظُنُّـوا بِنا العُقُـوقَ ولٰكِنْ * أَرْشِـدُونا إذا ضَـلَلْنا الرَّشادا

لا تُقِيـدُوا مِنْ أُمّةٍ بقَتِيـلٍ * صادَتِ الشمسُ نَفْسَـهُ حِينَ صَادا (٦)

جاءَ جَهّالُنا بأَمْـرٍ وجِئْـتُمْ * ضِعْفَ ضِـعْفَيْهِ قَسْـوَةً واشْـتِدادا

---

(١) فى يوم الأربعاء ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ م ، قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم ، وقصدوا إلى بلدة دنشواى بإقليم المنوفية من أعمال مركز تلا ، لصيد الحمام ، وهناك أصيب بعض الأهلين فاصطدموا بالإنجليز ؛ فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت ، فثارت ثائرة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية إذ ذاك ، وعقدت المحكمة المخصوصة لمحاكمتهم ، وكان المدعى العمومى فيها ابراهيم الهلباوى بك المحامى المعروف ؛ وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهلين ، وجلد وحبس ثمانية منهم . ونفذ الإعدام والجلد فى نفس البلد على مرأى ومسمع من أهله ، وكان فى ذلك الحكم وفى تنفيذه من القسوة ما أثار الأنفس وأطلق ألسنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش فى النفوس من أسى وحسرة .

(٢) الخطاب فى هذا البيت وما بعده للإنجليز .

(٣) جاب البلاد : قطعها .

(٤) ذات الطوق : الحمامة المطوّقة ، لأن لها طوقا حول عنقها ، وهو لون يخالف سائر لونها .

(٥) يريد « بالأطواق » فى هذا البيت : أغلال الأسر والاستعباد . والأجياد : الأعناق ؛ الواحد جيد .

(٦) يقال : أقاد الأمير القاتل بالقتيل ، إذا قتله به . ويشير بهذا البيت إلى ما قرره الأطباء من أن وفاة الضابط الإنجليزى كانت بضربة الشمس ، لا بإصابة أحد .

oberkandi.com

أَحْسِنُوا القَتْلَ إن ضَنِنْتُمْ بِعَفْوٍ * أَقِصاصًا أَرَدْتُمُ أم كِيادَا؟

أَحْسِنُوا القَتْلَ إن ضَنِنْتُمْ بِعَفْوٍ * أَنُفُوسًا أَصَبْتُمُ أَمْ جَمادَا؟

لَيْتَ شِعْرِى أَتِلْكَ (مَحْكَمَةُ التَّفْـ (١) ـتِيشِ) عادَتْ أَمْ عَهْدُ (نِيرُونَ) عادَا؟

كيف يَحْلُو مِنَ القَوِىِّ التَّشَفِّى * مِنْ ضَعِيفٍ أَلْقَى إليه القِيادا؟

إنّها مُثْلَةٌ تُشِفُّ عن الغَيْـ (٢) ـظِ ولَسْنا لِغَيْظِكُمْ أَنْدادا

أَكْرِمُونا بِأَرْضِنا حيثُ كُنْتُمْ * إنّما يُكْرِمُ الجَوادُ الجَوادا

إنّ عِشْرِينَ حِجّةً بعدَ خَمْسٍ * عَلَّمَتْنا السُّكونَ مَهْمَا تَمادَى (٣)

أُمَّةُ النِّيلِ أَكْبَرَتْ أَنْ تُعادِى * مَنْ رَماها وأَشْفَقَتْ أنْ تُعادَى (٤)

ليس فِيها إلّا كَلامٌ وإلّا * حَسْرَةٌ بعدَ حَسْرَةٍ تَتَهادَى

* * *

أَيُّهَا المُدَّعِى العُمُومِىُّ مَهْلًا * بعضَ هٰذا فقد بَلَغْتَ المُرادَا (٥)

قد ضَمِنّا لك القَضاءَ بِمِصْرٍ * وضَمِنّا لِنَجْلِكَ الإسْعادا (٦)

---

(١) تعرف محاكم التفتيش بالقسوة والظلم واضطهاد الناس ومصادرة أملاكهم، ثم إحراقهم من غير أن تترك لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم؛ وقد استغلت تلك المحاكم فى اضطهاد العرب فى اسبانيا فى آخر أيامهم بها حتى تم جلاؤهم عنها فى سنة ١٦٠٩ م. ونيرون، هو الملك الرومانى المعروف بالظلم والقسوة والاستبداد؛ ومما ينسب اليه أنه أحرق مدينة روما، وكان يوم إحراقها يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها، فيسر بهذا المنظر كأنما ينظر الى رواية تمثل فى ملهى من الملاهى. (٢) المثلة (بالضم): التنكيل. وتشف: تكشف وتبين. والأنداد: النظراء؛ الواحد ند (بكسر النون). (٣) الحجة: السنة. (٤) أشفقت: خشيت. (٥) المدعى العمومى: ابراهيم الهلباوى بك. (٦) يشير الى ما كان يقال من أن الهلباوى بك كان قد وعد بأن يكون بعد من رجال القضاء لدفاعه عن الإنجليز فى هذه الحادثة.

فإذا ما جَلَسْتَ للحُكْمِ فاذكُرْ * عَهْدَ (مِصْرٍ) فقد شَفَيْتَ الفُؤادَا

لا جَرَى النِّيلُ فى نَواحِيكِ يا (مِصْـ * ـرُ) ولا جادَكِ الحَيا حيثُ جادا (١)

أنتِ أَنْبَتِّ ذلكَ النَّبْتَ يا (مِصْـ * ـرُ) فأَضْحَى عليكِ شَوْكًا قَتادَا (٢)

أنتِ أَنْبَتِّ ناعِقًا قامَ بالأَمْـ * ـسِ فأَدْمَى القُلُوبَ والأَكْبادَا (٣)

إِيهِ يا مِدْرَهَ القَضاءِ ويا مَنْ * سادَ فى غَفْلَةِ الزَّمانِ وَشَادَا (٤)

أنتَ جَلَّادُنا فلا تَنْسَ أَنَّا * قد لَبِسْنا على يَدَيْكَ الحِدادَا

استقبال اللورد كرومر عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواى (٥)

[نشرت فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م]

(قَصْرَ الدُّبارَةِ) هل أتاكَ حَدِيثُنا * فالشَّرْقُ رِيعَ له وضَجَّ المَغْرِبُ (٦)

أهْلًا بساكِنِكَ الكريمِ ومَرْحَبًا * بعدَ التَّحِيَّةِ إنّنى أَتَعَتَّبُ (٧)

نَقَلَتْ لنا الأَسْلاكُ عنكَ رِسالةً * باتَتْ لها أَحْشاؤُنا تَتَلَهَّبُ

---

(١) الحيا : المطر . (٢) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر . يخاطب مصر بأنها أحسنت إلى بعض أبنائها وبرّت بهم ، فأساءوا إليها وجحدوا نعمتها . (٣) يريد « بالناعق » : المدعى العمومى فى هذه القضية . والنعيق (بالعين المهملة ، وفى كتب اللغة أنه بالغين المعجمة أفصح) : صياح الغراب . (٤) المدره : خطيب القوم والمتكلم عنهم . (٥) انظر الكلام على الحادثة التى وقعت فى هذا البلد (فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) . (٦) ريع (بالبناء للمجهول) : من الروع ، وهو الفزع . يخاطب فى هذا البيت القصر مريدا صاحبه . (٧) التعتب ، هو تواصف الموجدة ، ومخاطبة المدلين أخلّاءهم طالبين حسن مراجعتهم ، ومذاكرتهم ما كره بعضهم من بعض .

ماذا أقولُ وأنتَ أَصْدَقُ ناقِلٍ * عنّا ولكنّ السِّياسةَ تَكْذِبُ (١)

عَلَّمْتَنا مَعْنَى الحَياةِ فما لَنا * لا نَشْرَئِبُّ لها وما لَكَ تَغْضَبُ (٢)

أَنَقِمْتَ مِنّا أنْ نُحِسَّ ؟ وإنّما * هٰذا الذى تَدْعُو إليه وتَنْدُبُ (٣)

أنتَ الّذى يُعْزَى إليه صَلاحُنا * فيما تُقَرِّرُه لدَيْكَ وتَكْتُبُ (٤)

إنْ ضاقَ صَدْرُ النِّيلِ عمّا هالَه * يومَ الحَمامِ فإنّ صَدْرَكَ أَرْحَبُ (٥)

أوَكُلَّما باحَ الحَزِينُ بأَنّةٍ * أَمْسَتْ إلى مَعْنَى التَّعَصُّبِ تُنْسَبُ ! (٦)

رِفْقًا عَمِيدَ الدَّوْلَتَيْنِ بأُمّةٍ * ضاقَ الرَّجاءُ بها وضاقَ المَذْهَبُ (٧)

رِفْقًا عَمِيدَ الدَّوْلَتَيْنِ بأُمّةٍ * لَيْسَتْ بغَيْرِ وَلائِها تَتَعَذَّبُ

إنْ أَرْهَقُوا صَيّادَكُمْ فلَعَلَّهُمْ * لِلْقُوتِ لا للمُسْلِمِينَ تَعَصَّبُوا (٨)

ولَرُبَّما ضَنَّ الفَقِيرُ بقُوتِه * وسَخَا بمُهْجَتِه على مَنْ يَغْصِبُ (٩)

---

(١) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى مقتطفات من تقرير اللورد كرومر عن مصر نقلها البرق إلى الصحف المصرية ، وفيها يطعن على المصريين ويصفهم بأنهم لا يرعون جميلا . (٢) تشرئبها : تتطلع إليها . والاشرئباب (فى الأصل) : مدّ العنق للنظر . (٣) ندبه إلى الأمر : دعاه إليه .

(٤) يعزى : ينسب . يشير إلى ما كان يكتبه اللورد كرومر فى تقريراته من أنه هو الذى جلب الخير والرفاهية لمصر . (٥) يوم الحمام ، أى يوم صيد الحمام الذى سبب حادثة دنشواى المعروفة .

(٦) الأنة : من الأنين ، وهو التأوه . ويشير بهذا إلى ما وجه إلى المسلمين فى مصر من التعصب الدينى ، وأن ذلك التعصب كان السبب فى قتل الإنجليز فى دنشواى . (٧) عميد الدولتين ، أى عميد الدولة الإنجليزية والمصرية . (٨) أرهقوا صيادكم : اعتدوا عليه وآذوه . ويريد « بالصياد » : أحد ضباط الإنجليز الذين كانوا يتصيدون الحمام فى دنشواى ولاقى حتفه هنالك .

(٩) ضن : بخل . وسخا بمهجته ... الخ ، أى بذل نفسه فى دفع من يغصبه طعامه . ويشير بهذا الى ما حدث من بعض هؤلاء الصيادين ، حين أطلقوا النار على الحمام فأحرقت بعض أجران القمح هنالك .

obeikandl.com

فى (دِنْشَـوَاىَ) وأنتَ عنّـا غائبٌ * لَعِبَ القَضاءُ بنـا وعزَّ المَهْـرَبُ

حَسِبُوا النُّفُوسَ مِنَ الحَمامِ بَدِيلَةً * فتَسـابَقُوا فى صَيْدِهِنّ وصَـوَّبُوا (١)

نُكِبُوا وأَقْفَـرَتِ المَنـازِلُ بَعْـدَهُمْ * لو كنتَ حاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يُنْكَبُوا

خَلَّيْتَهُـمْ والقاسِطُونَ بَمَرْصَـدٍ * وسِـياطُهُمْ وحِبالُهُـمْ تَتَأَهَّبُ (٢)

جُـلِدُوا ولـو مَنَّيْتَهُمْ لتَعَلَّقُـوا * بحِبـالِ مَنْ شُنِقُوا ولَمْ يَتَهَيَّبُوا (٣)

شُـنِقُوا ولَوْ مُنِحُوا الخِيـارَ لأَهَّلُوا * بلَظَى سِـياطِ الجـالِدِينَ ورَحَّبُـوا (٤)

يَتَحاسَـدُونَ على المَـاتِ، وكأسُـه * بَيْنَ الشِّفاهِ وطَعْمُهُ لا يَعْـذُبُ

مَوْتانِ : هٰـذا عاجِـلٌ مُتَنَمِّرٌ * يَرْنُـو، وهٰـذا آجِـلٌ يَتَرَقَّبُ (٥)

والمُسْتَشـارُ مُكايِـرٌ بِـرِجالِه * ومُعاجِـزٌ ومُناجِـزٌ ومُحَـزِّبُ (٦)

يَخْتَـالُ فى أَنْحائِهـا مُتَبَسِّمًـا * والدَّمْـعُ حَـوْلَ رِكابِه يَتَصَبَّبُ

---

(١) يقال : صوّب السهم نحو الرمية (بتشديد الياء)، إذا سدّده .

(٢) القاسطون : الظالمون الجائرون عن الحق ، قال الله تعالى : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) . والمرصد : المرقب .

(٣) منيتهم ، أى خيرتهم فيما يتمنونه من أخف أنواع العذاب .

(٤) أهلوا ورحبوا ، أى قالوا : أهلا ومرحبا . ومعنى البيتين : أن كلا ممن جلد وشنق رأى فى عذابه من الشدة ما تمنى معه أن يستبدل به عذاب أخيه . واللظى : النار؛ وقيل : لهبها .

(٥) المتنمر : الغاضب ، تشبيها له بالنمر، لأن من عادته ألا يلقاك دائما إلا منكرا غضبان . ويرنو : ينظر .

(٦) يريد «بالمستشار» هنا : المستر بوند الإنجليزى ، وهو من قضاة المحكمة التى حكمت على متهمى دنشواى . والمعاجز : من عاجزت الرجل ، اذا أتيت بما يجعله عاجزا . والمناجز : المقاتل المبارز . ومحزب ، أى مفرق أعوانه ، فبعضهم يتولى أمر الجلد ، والبعض يتولى أمر الشنق ... الخ .

obeikandl.com

طاحُوا بأَرْبَعَةٍ فَأَرْدَوْا خامِسًا * هُوَ خَيْرُ ما يَرْجُو العَمِيدُ و يَطْلُبُ (١)

حُبٌّ يُحاوِلُ غَرْسَهُ فى أَنْفُسٍ * يُجْنَى بِمَغْرِسِها الثَّنَاءُ الطَّيِّبُ

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ ولا تَكِلْ أَرْواحَنا * لِلْمُسْتَشارِ فإِنَّ عَدْلَكَ أَخْصَبُ

وأَفِضْ على (بُنْدٍ) إذا وَلِيَ القَضا * رِفْقًا يَهُشُّ له القَضاءُ و يَطْرَبُ

قد كان حَوْلَكَ مِنْ رِجالِكَ نُخْبَةٌ * ساسُوا الأُمورَ فَدَرَّبُوا وتَدَرَّبُوا

أَقْصَيْتَهُمْ عَنّا وجِئْتَ بِفِتْيَةٍ * طاشَ الشَّبابُ بِهِمْ وطارَ المَنْصِبُ (٢)

فاجْعَلْ شِعارَكَ رَحْمَةً ومَوَدَّةً * إِنَّ القُلُوبَ مَعَ المَوَدَّةِ تُكْسَبُ

وإذا سُئِلْتَ عن الكِنانَةِ قُلْ لَهُمْ * هى أُمَّةٌ تَلْهُو وشَعْبٌ يَلْعَبُ

واسْتَبْقِ غَفْلَتَها ونَمْ عنها تَنَمْ * فالنَّاسُ أَمْثالُ الحَوادِثِ قُلَّبُ (٣)

شكوى مصر من الاحتلال

[قيلت فى أول يناير سنة ١٩٠٧ م]

لقد كان فِينَا الظُّلْمُ فَوْضَى فَهُذِّبَتْ * حَواشِيه حتّى باتَ ظُلْمًا مُنَظَّمَا (٤)

تَمُنُّ علينا اليَوْمَ أَنْ أَخْصَبَ الثَّرَى * وأَنْ أَصْبَحَ المِصْرِىُّ حُرًّا مُنَعَّمَا (٥)

---

(١) طاحوا بأربعة ، أى ذهبوا بنفوسهم . وأردوا : أهلكوا . وبريد «بالخامس» : الحب المذكور فى البيت الآتى .

(٢) أقصيتهم : أبعدتهم . وطار المنصب ، أى خفت أحلامهم من الغرور بمناصبهم .

(٣) قلب ، أى متقلبون لا يثبتون على حال واحدة . والذى وجدناه فى كتب اللغة أن القلب : صفة للفرد أى المتقلب كيف شاء ، وقد أخبر الشاعر به عن الناس مراعاة للفظ ، ومنه قول الشاعر :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟

(٤) الحواشى : النواحى . وتهذيبها : إصلاحها .

(٥) تمن : يخاطب عميد الدولة الإنجليزية . ويشير الى ما كان يكتبه ذلك العميد فى تقريراته من صلاح حال مصر ورفاهتها بفضل الإنجليز .

obeikandi.com

أَعِدْ عَهْدَ (إسماعيلَ) جَلْدًا وسُخْرَةً * فإنِّى رأيتُ المَنَّ أنْكَى وآلَمَا (١)

عَمِلْتُمْ على عِـزِّ الجمادِ وذُلِّنا * فأغْلَيْتُمُ طِينًا وأرْخَصْتُمُ دَمَا

إذا أخْصَبَتْ أرضٌ وأجْدَبَ أهْلُها * فلا أطْلَعَتْ نَبْتًا ولا جادَها السَّما (٢)

نَهَشُ الى الدِّينارِ حتّى إذا مَشَى * بـه رَبُّه لِلسوق ألْفاهُ دِرْهَما (٣)

فلا تَحْسَبوا فى وَفْرَةِ المالِ ـ لَمْ تُفِدْ * مَتاعًا ولم تَعْصِمْ مِنَ الفَقْرِ ـ مَغْنَمَا

فإنّ كَثيرَ المالِ ـ والخَفْضُ وارِفٌ ـ * قليلٌ إذا حَلَّ الغَلاءُ وخَيَّمَا (٤)

وداع اللّورد كرومر

قالها عند استقالة اللورد وضمنها آراء الناس فى سياسته

[نشرت فى ٢٧ إبريل سنة ١٩٠٧ م]

فَتَى الشِّعْرِ هٰذا مَوْطِنُ الصِّدْقِ والهُدَى * فلا تَكْذِبِ التّاريخَ إنْ كُنْتَ مُنْشِدَا (٥)

لقد حانَ تَوْدِيعُ العَمِيدِ وإنّه * حَقِيقٌ بتَشْيِيعِ المُحِبِّينَ والعِدَا (٦)

---

(١) يشير بهذا البيت الى ما كان يردده عميد الدولة الإنجليزية وغيره من ساسة الإنجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ما قبله من العهود، ولا سيما عهد إسماعيل، ممتنين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يحيق بهم من المظالم قبل احتلالهم، من تسخير الناس وجلد ظهورهم. (٢) جادها السما أى نزل عليها المطر. (٣) هش اليه: ارتاح ويش. ويشير بهذا الى غلاء الحاجات وارتفاع أثمانها، حتى إن الدينار ينزل الى قدر الدرهم فى الشراء. (٤) الخفض: سعة العيش ورغده. والوارف: المتسع. يقول: إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار وغلاء الحاجات لا تغنى شيئا.

(٥) فتى الشعر، يريد نفسه. (٦) العميد، هو عميد الدولة الإنجليزية فى مصر، وهو اللورد كرومر، وقد بقى بها ما يزيد على أربعة وعشرين عاما، فقد حضر اليها فى سبتمبر سنة ١٨٨٣ م. وتركها فى سنة ١٩٠٧ م. وحقيق: جدير.

obeikandl.com

فودِّعْ لنا الطَّوْدَ الذى كان شامخًا * وشَيِّعْ لنا البَحْرَ الذى كانَ مُزْبِدا (١)

وزَوِّدْه عنّا بالكرامةِ كلِّها * وإنْ لم يَكُنْ بالباقياتِ مُزَوَّدَا

فلِمْ لا نَرَى الأهرامَ يا نيلُ مُيَّدًا * وفِرْعَوْنُ عن وادِيكَ مُرْتَحِلٌ غَدا؟ (٢)

كأنّك لَمْ تَجْزَعْ عليه ولَمْ تَكُنْ * تَرَى فى حِمَى فِرْعَوْنَ أَمْنًا ولا جَدَا (٣)

سلامٌ ولو أنا نُسِيءُ إلى الأُلَى * أَساءُوا إلينا ما مَدَدْنَا لهم يَدا

سَنُطْرِى أَيادِيكَ الّتى قد أَفَضْتَها * علينا فلَسْنا أُمّةً تَجْحَدُ اليَدَا (٤)

أَمِنَّا فلَمْ يَسْلُكْ بنا الخَوْفُ مَسْلَكًا * ونِمْنَا فلَمْ يَطْرُقْ لنا الذُّعْرُ مَرْقَدا

وكنتَ رَحِيمَ القَلْبِ تَحْمِى ضَعِيفَنا * وتَدْفَعُ عنّا حادِثَ الدَّهْرِ إنْ عَدا

ولولا أَسًى فى (دِنْشِواىَ) ولَوْعَةٌ * وفاجِعَةٌ أَدْمَتْ قُلوبًا وأَكْبُدَا (٥)

ورَمْيُكَ شَعْبًا بالتَّعَصُّبِ غافِلًا * وتَصْوِيرُكَ الشَّرْقِىَّ غِرًّا مُجَرَّدَا (٦)

---

(١) الطود : الجبل العظيم . والشامخ : المرتفع . والمزبد : الذى يقذف بالزبد (بالتحريك) ، وهو ما يعلو الماء من الرغوة ، ولا يكون ذلك إلا عند هيجان البحر وثورانه . شبه الشاعر اللورد بالجبل العظيم فى رسوخه فى السياسة وعلو شأنه ، كما شبهه بالبحر المزبد فى ثورته وغضبه .

(٢) ميدا : مائلة مضطربة ، الواحد مائد . وشبه كرومر بفرعون ، لما كان يعرف به من الجبروت . (٣) الجدا (بفتح الجيم وتخفيف الدال) : العطاء . (٤) نطرى : نمدح . والأيادى : النعم . وأفضتها : أجريتها . ويشير فى هذا البيت والبيتين اللذين بعده الى مآثر اللورد فى مصر ، من نشر الأمن فى ربوع البلاد ، والأخذ بناصر الضعفاء ، وإنصافهم من ظلم الأقوياء .

(٥) الأسى : الحزن . وانظر التعريف بحادثة دنشواى (فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) .

(٦) رميك ، أى اتّهامك . والغر : الذى لا تجربة له بالأمور لقصر نظره . ومجردا ، أى غير مزوّد بأسباب النهوض والجدّ .

لَذُبْنَا أَسَىً يومَ الوَداعِ لأَنَّنا * نَرَى فِيكَ ذاكَ المُصْلِحَ المُتَوَدِّدَا

تَشَعَّبَتِ الآراءُ فِيكَ فقائلٌ * أَفادَ الغِنَى أَهْلَ البِلادِ وأَسْعَدا

وكانت له فى المُصْلِحِين سِياسَةٌ * تَرَخَّصَ فيها تارَةً وتَشَدَّدا (١)

رأَى العِزَّ كلَّ العِزِّ فى بَسْطَةِ الغِنَى * فحَارَبَ جَيْشَ الفَقْرِ حتّى تَبَدَّدا (٢)

وأَمْتَعَكُمْ بالنِّيلِ فهو مُبارَكٌ * على أَهْلِه، خِصْبًا وريًّا ومَوْرِدا (٣)

وسَنَّ لَكُمْ حُرِّيَّةَ القَوْلِ عِنْدَ ما * رَأَى القَوْلَ فى أَسْرِ السُّكُوتِ مُقَيَّدا (٤)

وآخَرُ لَمْ يَقْصِرْ على المالِ هَمَّه * يَرَى أَنَّ ذاكَ المالَ لا يَكْفُلُ الهُدَى (٥)

فلا يَحْمَدِ الإِثْراءَ حتّى يَزِينَه * بِعِلْمٍ، وخيرُ العِلْمِ ما كانَ مُرْشِدا (٦)

يُنَادِيكَ قَدْ أَزْرَيْتَ بالعِلْمِ والحِجَا * ولَمْ تُبْقِ للتَّعْلِيمِ يا (لُرْدُ) مَعْهَدا (٧)

وأَنَّكَ أَخْصَبْتَ البِلادَ تَعَمُّدًا * وأَجْدَبْتَ فى مِصْرَ العُقُولَ تَعَمُّدا

قَضَيْتَ على أُمِّ اللُّغاتِ وإنّه * قَضاءٌ علينا أو سَبِيلٌ إلى الرَّدَى (٨)

---

(١) ترخص : لان وسهل . (٢) بسطة الغنى : سعته .

(٣) يشير بهذا البيت إلى الإصلاحات المتعلقة بالرى وتحسين النظم فى صرف مياه النيل التى أجريت فى عهد اللورد كرومر . (٤) سنّ : شرع . يشير بهذا البيت إلى حرية الصحافة فى عهد اللورد .

(٥) وآخر : معطوف على قوله السابق : « فقائل » . ويقصر ، أى يحبس . وهمه ، أى همته وعزمه . (٦) الإثراء : كثرة الأموال .

(٧) أزرى به : تهاون به ووضع من شأنه . (٨) يريد « بأم اللغات » : اللغة العربية . ويشير الى ما كان فى عهد اللورد كرومر من جعل دراسة أكثر العلوم فى المدارس باللغة الإنجليزية . والردى : الهلاك .

obeikandl.com

ووافَيْتَ والقُطْرانِ فى ظِلِّ رايَةٍ * فما زِلْتَ (بالسُّودانِ)(١) حتّى تَمَرَّدَا

فطاحَ كما طاحَتْ (مُصَوَّعُ)(٢) بَعْدَه * وضاعَتْ مَساعِينا بأَطْماعِكُمْ سُدَى

حَجَبْتَ ضِياءَ الصُّحْفِ عن ظُلُماتِه(٣) * ولَمْ تَسْتَقِلْ حتّى حَجَبْتَ (المُؤَيَّدا)

وأَوْدَعْتَ تَقْرِيرَ الوَداعِ مَغامِزًا(٤) * رأَيْنا جَفاءَ الطَّبْعِ فيها مُجَسَّدا

غَمَزْتَ بها دِينَ النَّبِيِّ وإنَّنا * لَنَغْضَبُ إنْ أَغْضَبْتَ فى القَبْرِ (أَحْمَدَا)

يُنادِيكَ أينَ النابِغُون بعَهْدِكُمْ(٥) * وأىُّ بناءٍ شامِخٍ قد تَجَدَّدا

فما عَهْدُ (إسماعيلَ) والعَيْشُ ضَيِّقٌ(٦) * بأَجْدَبَ مِنْ عَهْدٍ لَكُمْ سالَ عَسْجَدا

يُنادِيكَ وَلَّيْتَ الوِزارةَ هَيْئَةً(٧) * مِنَ الصُّمِّ لَمْ تَسْمَعْ لأَصْواتِنا صَدَى

فليسَ بها عندَ التَّشاوُرِ مِنْ فَتًى * أَبِيٍّ إذا ما أَصْدَرَ الأَمْرَ أَوْرَدَا

---

(١) وافيت ، أى حضرت إلى مصر . والقطران : مصر والسودان . ويريد « بالراية » : الراية المصرية . وتمرد : عصى وخرج عن الطاعة . يشير بهذا البيت إلى رأى السياسة البريطانية الذى أشارت به على مصر من إخلاء السودان فى سنة ١٨٨٤ م عند ما ثار المهدى ، حتى استفحل أمره وانتشرت دعوته ، وتألبت معظم القبائل على الحكومة ؛ وقد أعيد فتحه بعد ذلك بالجيشين المصرى والإنجليزى فى سنة ١٨٩٧ م . (٢) طاح ، أى ذهب وضاع . ومصوع : ثغر معروف على البحر الأحمر ، وقد كان فى يد مصر ، ثم اضطرت إلى إخلائه أيام الحروب السودانية ، فضمته إيطاليا الى أملاكها بموافقة انجلترا .

(٣) ظلماته ، أى ظلمات السودان ؛ ويريد ظلمات الجهل التى فيه . ويشير الشاعر إلى ما حدث فى عهد اللورد كرومر من منع بعض الصحف المصرية ، ومنها صحيفة المؤيد ، من دخول السودان خوفا من نشر الدعاية ضد الإنجليز . (٤) المغامز : المطاعن . ويشير الشاعر إلى ما ذكره اللورد كرومر فى تقريره عن مصر ، حين تركها ، من طعن على المصريين . (٥) ينادبك ، أى هذا الآخر الذى سبق ذكره فى قوله : « وآخر لم يقصر ... الخ » . (٦) العسجد : الذهب الخالص .

(٧) الصدى : ما يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يحبسه ؛ ولذلك يقال له : رجع الصدى .

بِرَبِّكَ ماذا صَدَّنا ولَوَى بِنا * عن القَصْدِ إنْ كان السَّبِيلُ مُمَهَّدا؟ (١)

أَشَرْتَ برأيٍ فى كِفايَكَ لم يَكُنْ * سَدِيدًا ولٰكنْ كان سَهْمًا مُسَدَّدا (٢)

وحاوَلْتَ إعْطاءَ الغَرِيبِ مَكانَةً * تَجُرُّ علينا الوَيْلَ والذُّلَّ سَرْمَدا (٣)

فياوَيْلَ مِصْرٍ يومَ تَسْقَى بنَدْوَةٍ * يَبِيتُ بها ذاكَ الغَرِيبُ مُسَوَّدا (٤)

أَلَمْ يَكْفِنا أَنَّا سُلِبْنا ضِياعَنا * على حِينِ لم نَبْلُغْ مِنَ الفِطْنَةِ المَدَى (٥)

وزاحَمَنا فى العَيْشِ كُلُّ مُمارِسٍ * خَبِيرٍ وكُنّا جاهِلِينَ ورُقَّدا (٦)

وما الشَّرِكاتُ السُّودُ فى كلِّ بَلْدَةٍ * سِوَى شَرَكٍ يُلْقِى به مَنْ تَصَيَّدا

فهٰذا حَدِيثُ النّاسِ والناسُ أَلْسُنٌ * إذا قال هذا، صاحَ ذاكَ مُفَنِّدا (٧)

ولو كنتُ مِنْ أَهْلِ السِّياسَةِ بَيْنَهُمْ * لَسَجَّلْتُ لى رَأْيًا وبُلِّغْتُ مَقْصِدا

ولٰكنّنى فى مَعْرِضِ القَوْلِ شاعِرٌ * أَضافَ إلى التّاريخِ قَوْلًا مُخَلَّدا

فيأَيُّها الشَّيْخُ الجَلِيلُ تَحِيَّةً * ويأَيُّها القَصْرُ المُنِيفُ تَجَلُّدا (٨)

لئن غابَ هٰذا اللَّيْثُ عنكَ لِعِلَّةٍ * لقد لَبِثَتْ آثارُه فيكَ شُهَّدا

(١) لوى به عن القصد، أى صرفه عنه . يقول : إن صح ما يقال من أنك أحسنت السياسة فى مصر وليت أمورها أكفاءها، فما بالنا نحرف عن القصد ونسير فى غير النهج .

(٢) المسدد : المصوب نحو الهدف . (٣) السرمد : الدائم . (٤) الندوة : المكان يجتمع فيه القوم للتشاور . ويشير إلى ما كان يراد من إنشاء مجلس للشورى مختلط من المصريين والأجانب . (٥) المدى : الغاية . ويشير بهذا البيت إلى ما استولى عليه الأجانب من أراضينا الزراعية بما نصبوه من أشراك الديون ذوات الفوائد المرهقة . (٦) مارس الأمر : عالجه وزاوله . يشير فى هذا البيت إلى أرباب الاقتصاد الخبيرين باكتساب المال واستثماره من الأجانب، وجهل المصريين بهذا الفن . (٧) مفندا : مكذبا مجهلا . (٨) يريد قصر الدوبارة الذى كان يسكنه العميد .

استقبال السير غورست (١)

قالها فى استقباله عند مجيئه إلى مصر معتمدا للدولة الإنجليزية خلفا للورد كرومر

يبث فيها آلام المصريين وآمالهم

[نشرت فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م]

بَنَاتِ الشِّعْرِ بالنَّفَحاتِ جُودِى * فهٰذا يومُ شاعِرِكِ المُجِيدِ (٢)

أَطِلِّى وآسِفِرِى ودَعِيهِ يُحْيِى * بما تُوحِينَ أَيَّامَ الرَّشِيدِ (٣)

إذا ما جَلَّ قَدْرُكِ عَنْ هُبوطٍ * مُرِيهِ الى سَمائِكِ بالصُّعُودِ

وأَوْلِى ذلكَ الفانِى بَيانًا * يَتِيهُ به على أَهْلِ الخُلُودِ

وحُلِّى عُقْدَةً مِنْ أَصْغَرَيْهِ * يَلِنْ لِمُتافِهِ قاسِى الحَدِيدِ (٤)

فما أَنَا واقِفٌ بِرُسُومِ دارٍ * أَسائِلُها ولا كَلِفٌ بِرُودِ (٥)

ولا مُسْتَنْزِلٌ هِبَةً بِمَدْحٍ * ولا مُسْتَنْجِزٌ حُرَّ الوُعُودِ

ولٰكِنِّى وَقَفْتُ أَنُوحُ نَوْحًا * على قَوْمِى وأَهْتِفُ بالنَّشِيدِ

وأَدْفَعُ عنهمُ بِشَبَا يَرَاعٍ * يَصُولُ بكلِّ قافِيَةٍ شَرُودِ (٦)

---

(١) ولد غورست سنة ١٨٦١ م، وتوفى فى يوليه سنة ١٩١١ م. وكان مستشارا لوزارة المالية من سنة ١٨٩٨ م الى سنة ١٩٠٤ م. وفى سنة ١٩٠٧ م عين عميدا للدولة الإنجليزية مكان اللورد كرومر.

(٢) بنات الشعر: معانيه وخواطره. ويريد «بالشاعر المجيد»: نفسه. (٣) سفرت المرأة تسفر (من باب ضرب): كشفت عن وجهها. ويريد «بالرشيد»: هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف؛ وخصه بالذكر لكثرة من كان فى زمنه من الشعراء المجيدين. (٤) الأصغران: القلب واللسان.

(٥) رسوم الدار: آثارها. والكلف: المولع بالشىء الشديد الحب له. والرؤد (بالهمز وسهلت): الشابة الحسنة. (٦) شبا اليراع: سن القلم. وقافية شرود، أى سائرة ذائعة.

(١)
بَنَاتُ الشِّعْرِ إِنْ هِيَ أَسْعَدَتْنِي * شَكَوْتُ مِنَ العَمِيدِ إِلَى العَمِيدِ
(٢)
وَلَمْ أَجْحَدْ عَوَارِفَهُ وَلَكِنْ * رَأَيْتُ المَنَّ دَاعِيَةَ الجُحُودِ
(٣)
أَدِيقُوهُ الرَّجَاءَ فَقَدْ ظَمِئْنَا * بِعَهْدِ المُصْلِحِينَ إِلَى الوُرُودِ
وَمُنُّوا بِالوُجُودِ فَقَدْ جَهِلْنَا * بِفَضْلِ وُجُودِكُمْ مَعْنَى الوُجُودِ
(٤)
إِذَا اعْلَوْلَى الصِّيَاحُ فَلَا تَلُمْنَا * فَإِنَّ النَّاسَ فِي جُهْدٍ جَهِيدِ
(٥)
عَلَى قَدْرِ الأَذَى وَالظُّلْمِ يَعْلُو * صِيَاحُ المُشْفِقِينَ مِنَ المَزِيدِ
(٦)
جِرَاحٌ فِي النُّفُوسِ نَفَرْنَ نَفْرًا * وَكُنَّ قَدِ انْدَمَلْنَ عَلَى صَدِيدِ
(٧)
إِذَا مَا هَاجَهُنَّ أَسًى جَدِيدٌ * هَتَكْنَ سَرَائِرَ القَلْبِ الجَلِيدِ
(٨)
إِلَى مَنْ تَشْتَكِي عَنَتَ اللَّيَالِي * إِلَى (العَبَّاسِ) أَمْ (عَبْدِ الحَمِيدِ)؟
(٩)
وَدُونَ حِمَاهُمَا قَامَتْ رِجَالٌ * تُرَوِّعُنَا بِأَصْنَافِ الوَعِيدِ

---

(١) أسعدتني : أعانتني . وفي كتب اللغة : أن «شكا» يتعدّى بنفسه لا بالحرف .

(٢) العوارف : النعم ، الواحدة عارفة . وفي البيت تعريض بما كان يمنّ به الوزير كرمز على المصريين من أنه أنهضهم وأصلح من أحوالهم .

(٣) الخطاب في «أديقوه» لمحتين . وفي قوله : «بعهد المصلحين» تهكم ظاهر .

(٤) اعلولى : علا .

(٥) المشفقون : الخائفون .

(٦) نفرن الجرح : سال دمه . وانفسل : التأم .

(٧) السرائر : جمع سريرة ، وهي ما يسره الإنسان من أمره . والجليد : الصبور .

(٨) العنت : الأذى والمشقة .

(٩) روّعه : أخافه وأفزعه .

فما جئنا نطاولكم بجاهٍ * يطولكم ولا ركنٍ شديد (١)

ولا بتنا نعاجزكم بعلمٍ * يبين به الغوىُّ من الرشيد (٢)

ولكنا نطالبكم بحقٍّ * أضرَّ بأهله نقضُ العهود (٣)

رمانا صاحبُ التقريرِ ظلمًا * بكفران العوارف والكنود (٤)

وأقسم لا يجيبُ لنا نداءً * ولو جئنا بقرآنٍ مجيد

وبشَّر أهلَ مصرٍ باحتلالٍ * يدوم عليهم أبدَ الأبيد (٥)

وأنبتَ في النفوسِ لكمْ جفاءً * تعهَّده بمنهلِّ الصدود (٦)

فأثمرَ وحشةً بلغتْ مداها * وزكّاها بأربعةٍ شهود (٧)

قتيلُ الشمسِ أورثنا حياةً * وأيقظ هاجعَ القومِ الرقود (٨)

فليتَ (كرومرًا) قد دامَ فينا * يطوِّقُ بالسلاسلِ كل جيد

---

(١) طاوله بجاهه : فاخره به . وطاله يطوله : علاه وارتفع عليه . ويريد « بالركن الشديد » : العزة والمنعة . والخطاب في هذا البيت وما بعده للإنجليز .

(٢) نعاجزكم : نأتي بما يعجزكم . (٣) يريد «بالعهود» : وعود ساسة الإنجليز بالجلاء عن مصر .

(٤) صاحب التقرير، هو اللورد كرومر، وكان قد اتهم المصريين في أحد تقاريره التي كان يرفعها لدولته بعدم الاعتراف بجميل الدولة البريطانية عليهم . والكنود : الكفر بالنعمة .

(٥) أبد الأبيد، أي أبد الدهر . (٦) المنهل : المطر يشتد انصبابه .

(٧) يريد «بالشهود الأربعة» : من أعدموا في دنشواي، فهم بما لقوا شهود عدول على ظلم العميد .

(٨) قتيل الشمس : الضابط الإنجليزي الذي مات في حادث دنشواي بضربة الشمس، واتهم الأهلون بقتله . والهاجع : النائم . يريد أن ما أصاب الناس من العذاب بسبب هذا القتيل جعلهم يهبون ويستيقظون الى المطالبة بالحرية .

obeikandl.com

وتُخْفِ (مِصْرَ) آنًا بَعْدَ آنٍ * بِمَجْلُودٍ ومَقْتُولٍ شَهِيدِ

لِتَنْزِعَ هٰذه الأَكْفانَ عَنّا * وتُبْعَثَ فى العَوالِمِ مِنْ جَدِيدِ

رَمَى (دارَ المَعارِفِ) بالرَّزايا (١) * وجاءَ بكُلِّ جَبّارٍ عَنِيدِ

يُدِلّ بحَوْلِهِ ويَتِيهُ تِيهًا (٢) * ويَعْبَثُ بالنُّهَى عَبَثَ الوَلِيدِ

فَبَدَّدَ شَمْلَها وأَدالَ منها (٣) * وصاحَ بها : سَبِيلُكِ أنْ تَبِيدِى

هَبُوا (دَنْلُوبَ) أَرْحَبَكُمْ جَنانًا (٤) * وأَقْدَرَكُمْ على نَزْعِ الحُقُودِ

وأَعْلَى مِنْ (غِلادَسْتُونَ) رَأْيًا (٥) * وأَحْكَمَ مِنْ فَلاسِفَةِ (الهُنُودِ)

فإنّا لا نُطِيقُ له جِوارًا * وقد أَوْدَى بنا أو كادَ يُودِى

مَلِلْنا طُولَ صُحْبَتِهِ (٦) ومَلَّتْ * سَوابِقُنا مِنَ المَشْيِ الوَئِيدِ

بحَمْدِ اللهِ مُلْكُكُمُ كَبِيرٌ * وأنتمْ أهلُ مَرْحَمَةٍ وجُودِ

خُذُوه فأَمْتِعُوا شَعْبًا سِوانا * بهٰذا الفَضْلِ والعِلْمِ المُفِيدِ

---

(١) كل جبار عنيد : يريد مستشار المعارف إذ ذاك ، وهو المستر دانلوب وأعوانه .

(٢) الحول : القوة .

(٣) أدال منها : أذلها وأذهب عزها ودولتها . وتبيد : تهلك .

(٤) الجنان : القلب .

(٥) غلادستون ، هو وليم غلادستون . ولد بليفربول فى التاسع والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٨٠٩ م ، وكان من ساسة الانجليز المشهورين ، وتولى وزارة المالية مرتين ، ثم كان رئيسا لمجلس النواب ، ثم رأس الوزارة الانجليزية أربع مرات . وتوفى فى ١٩ مايو سنة ١٨٩٨ م .

(٦) السوابق : الخيل التى تجىء سابقة فى الحلبة ؛ ويريد بهم أعلام الأمة ونوابغها . والوئيد من المشى : البطىء منه .

إذا ٱستَوْزَرتَ فاستَوْزِرْ عَلَيْنا * فَتًى (كالفَضْلِ) او (كابْنِ ٱلعَمِيدِ) (١)

ولا تُثْقِلْ مَطاهُ بمُسْتَشارٍ * يَحِيدُ به عن القَصْدِ الحَمِيدِ (٢)

وفى الشُّورَى بِنا داءٌ عَهِيدٌ * قد ٱستَعْصَى على الطِّبِّ العَهِيدِ (٣)

شُيُوخٌ كلَّما هَمَّتْ بأَمْرٍ * زَأَرْتُمْ دُونَه زَأْرَ الأُسُودِ

لِحًى بَيْضاءُ يومَ الرَّأْيِ هانَتْ * على حُمْرِ المَلابِسِ والخُدُودِ (٤)

أَتَرْضَى أَنْ يُقالَ — وأَنْتَ حُرٌّ — * بأَنَّك قَيْنُ هاتِيكَ القُيُودِ؟ (٥)

وهَلْ فى دارِ نَدْوَتِكُمْ أُناسٌ * بِهٰذا المَوتِ أو هٰذا ٱلجُمُودِ؟ (٦)

فَنَحِّ غَضاضَةَ التّامِيزِ عَنّا * كَفانا سائِغُ النِّيلِ السَّعِيدِ

أَرَى أَحداثَكُمْ مَلَكُوا علينا * (بِمِصْرَ) مَوارِدَ العَيْشِ الرَّغِيدِ (٧)

---

(١) الفضل : هو أبو العباس الفضل بن سهل أخو الحسن بن سهل ، أسلم على يد المأمون فى سنة ١٩٠ هـ ، وكان وزيرا للرشيد ؛ وكان يلقب بذى الرياستين لأنه كان رب القلم والسيف . ومات مقتولا يوم الخميس ثانى شعبان سنة ٢٠٢ هـ . وابن العميد ، هو الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد الفارسى الأصل ، وزير ركن الدولة أبى على بن بويه ، والد عضد الدولة المشهور فى سنة ٣٢٨ هـ ، فساس دولته ووطد أركانها ، ومازال فى وزارته محط رحال الشعراء والأدباء والعلماء حتى توفى سنة ٣٦٠ هـ . وخص الفضل وابن العميد لتشجيعهما العلم والأدب . (٢) المطا : الظهر ، يرغب إلى العميد البريطانى أن يجعل على وزارة المعارف أمثال الفضل وابن العميد ، على ألا يشل أيديهم بمستشار (كدنلوب) .

(٣) العهيد : القديم الذى أتى عليه عهد طويل . يقول إن مجلس الشورى فى مصر عيوبا قديمة استعصى شفاؤها من قديم على المصلحين . (٤) يريد «بالحمى البيضاء» : أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية . و «بحمر الملابس والخدود» : الانجليز . وكان مما تميز به جنودهم إذ ذاك الأكسية الحمراء .

(٥) القين : الحداد . (٦) دار ندوتكم ، يريد بها مجلس العموم البريطانى . ويشير بهذا البيت والأبيات الأربعة التى قبله إلى ضعف رأى مجلس الشورى والجمعية العمومية ، لأن الحكومة كانت حرة فى قبول رأيهما أو ردّه . (٧) الرغيد : الواسع الطيب .

obeikandi.com

وقد ضِقْنَا بهِمْ وأَبِيكَ ذَرْعًا * وضاقَ بَحْملِهِمْ ذَرْعُ البَرِيدِ

أَكُلُّ مُوَظَّفٍ منكمْ قَدِيرٌ * على التَّشْرِيعِ فى ظِلِّ العَمِيدِ؟

فضَعْ حَدًّا لهمْ وٱنظُرْ إلينا * إذا أَنْصَفْتَنا نَظَرَ الوَدُودِ

وخَبِّرْهُمْ وأنتَ بِنا خَبِيرٌ * بأنّ الذُّلَّ شِنْشِنَةُ العَبِيدِ (١)

وأنّ نُفُوسَ هٰذا الخَلْقِ تَأْبَى * لغَيْرِ إلٰهِها ذُلَّ السُّجُودِ

ووَلِّ أُمُورَنا الأَخْيارَ مِنَّا * نَثِبْ بِهِمُ الى الشَّأْوِ البَعِيدِ (٢)

وأَشْرِكْنا مع الأَخْيارِ مِنْكُمْ * اذا جَلَسُوا لإيقامِ ٱلحُدُودِ (٣)

وأَسْعِدْنا بجامِعَةٍ وشِيِّدْ * لنا مِنْ مَجْدِ دَوْلَتِكَ المَشِيدِ

وإنْ أَنْعَمْتَ بالإصْلاحِ فابدَأْ * بتِلْكَ فإنّها بَيْتُ القَصِيدِ (٤)

وفَرِّجْ أَزْمَةَ الأَمْوالِ عنّا * بما أُوتِيتَ مِنْ رَأْيٍ سَدِيدِ

وسَلْ عنها (اليَهُودَ) ولا تَسَلْنا * فقد ضاقَتْ بها حِيَلُ (اليَهُودِ)

إذا ما ناحَ فى (أُسْوانَ) باكٍ * سَمِعْتَ أَنِينَ شاكٍ فى (رَشِيدِ)

جَمِيعُ النّاسِ فى البَلْوَى سَواءٌ * بأَدْنَى الثَّغْرِ أو أَعْلَى الصَّعِيدِ

تَدارَكْ أُمَّةً بالشَّرْقِ أَمْسَتْ * على الأَيّامِ عائِرَةَ ٱلحُدُودِ (٥)

---

(١) الشنشنة : العادة والطبيعة . (٢) الشأو : الغاية . (٣) يلاحظ أنه لم يرد فى كتب اللغة « إيقام » بياء بعد الهمزة كما فى هذا البيت . والذى ورد « إقام » بدون ياء مصدر أقام . (٤) بتلك ؛ أى بالجامعة المصرية ، ولم تكن قد أنشئت إذ ذاك .

(٥) عائرة الحدود : أى تاعسة الحظوظ .

وَأَيِّدْ مِصْرَ والسُّودانَ وَٱغْنَمْ * ثَنَاءَ القَوْمِ مِنْ بِيضٍ وسُودِ

وما أَدْرِى وقد زَوَّدْتُ شِعْرِى * وَظَنِّى فيكَ بالأَمَلِ الوَطِيدِ (١)

أَجِئْتَ تَحُوطُنا وتَرُدُّ عَنّا * وتَرْفَعُنا إلى أَوْجِ السُّعُودِ؟ (٢)

أَمِ اللُّرْدُ الذى أَنْحَى عَلَيْنا * أَتَى فى ثَوْبِ مُعْتَمِدٍ جَدِيدِ؟ (٣)

تحيّة العام الهجرىّ

[سنة ١٣٢٧ هـ — يناير سنة ١٩٠٩ م]

أَطَلَّ على الأَكْوانِ والخَلْقُ تَنْظُرُ * هِلالٌ رآهُ المُسْلِمُونَ فكَبَّرُوا

تَجَلَّى لهمْ فى صُورةٍ زَادَ حُسْنُها * على الدهرِ حُسْناً أنّها تَتَكَرَّرُ (٤)

وبَشَّرَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وجَبِينِهِ * وغُرَّتِهِ والناظِرِينَ مُبَشِّرُ

وأَذْكَرَهُمْ يوماً أَغَرَّ مُحَجَّلاً * به تُوِّجَ التاريخُ والسَّعْدُ مُسْفِرُ (٥)

وهاجَرَ فيهِ خيرُ داعٍ إلى الهُدَى * يَحُفُّ به مِنْ قُوَّةِ اللهِ عَسْكَرُ

يُماشِيهِ جِبْرِيلُ وتَسْعَى وَراءَهُ * مَلائِكَةٌ تَرْعَى خُطاهُ وتَحْفِرُ (٦)

---

(١) الوطيد : الثابت القوى . و« بالأمل » متعلق بـ« زودت » . (٢) حاطه يحوطه : حفظه وتعهده . (٣) أنحى علينا ، أى أقبل علينا بالشدة والقسوة والعنف .

(٤) تجلى : ظهر وتكشف . (٥) يقال : يوم أغر محجل ، إذا كان مشهورا . وأصل هاتين الصفتين من النعوت المحمودة فى الخيل ؛ الأغر منها : ما كان فى جبهته بياض . والمحجل : ما كان البياض فى قوائمه . والمسفر : المضىء المشرق . ويريد بهذا اليوم : يوم هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة . (٦) يماشيه : يمشى معه . وتحفر : تحرس .

obeikandi.com

بُشْراهُ بُرْهانٌ مِن اللهِ ساطِعٌ * هُدًى، وبُمْناه الكتابُ المُطَهَّرُ

فكانَ على أبْوابِ (مَكَّةَ) رَكْبُه * وفى (يَثْرِبٍ)[1] أنوارُه تَتَفَجَّرُ

مَضَى العامُ مَيْمُونَ الشُّهور مُبارَكًا * تُعَدِّدُ آثارٌ له وتُسَطَّرُ

مَضَى غَيْرَ مَذْمومٍ فإنْ يَذْكُرُوا له * هَناتٍ[2] فطَبْعُ الدَّهْرِ يَصْفُو ويَكْدُرُ

وإنْ قِيلَ أَوْدَى[3] بالأُلُوفِ أجابَهُمْ * مُجِيبٌ: لقد أَحْيَا المَلايِينَ فانْظُرُوا

إذا قِيسَ إحْسانُ امرِئٍ بإساءَةٍ * فأَرْبَى[4] عليْها فالإساءَةُ تُغْفَرُ

ففِيه أَفاقَ النائمُون وقد أَتَتْ * عليهِمْ[5] كأَهْلِ الكَهْفِ فى النَّومِ أَعْصُرُ

وفى عالَمِ الإسْلامِ فى كلِّ بُقْعَةٍ * له أَثَرٌ باقٍ وذِكْرٌ مُعَطَّرُ

سَلُوا (التُّرْكَ) عمّا أَدْرَكُوا فِيه مِنْ مُنًى * وما بَدَّلُوا فى المَشْرِقَيْنِ وغَيَّرُوا

وإنْ لَمْ يَقُمْ إلّا (نِيازِى) و(أَنْوَرُ)[6] * فقَدْ مَلَأَ الدُّنْيا (نِيازِى) و(أَنْوَرُ)

تَواصَوْا بصَبْرٍ ثمّ سَلُّوا مِنَ الحِجَا * سُيُوفًا[7] وجَدُّوا جِدَّهُمْ وتَدَبَّرُوا

---

(١) يثرب : الاسم القديم لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشبه انبثاق الأنوار بتفجر الماء .

(٢) الهنات : الهفوات اليسيرة التى تحتمل أمثالها (٣) أودى بهم : أهلكهم .

(٤) أربى : زاد . (٥) يشير بقوله « أفاق النائمون » : إلى بعض الشعوب التى هبت فى العالم المتحدث عنه تطالب بحريتها ودستورها بعد أن سكنت على الذل والاستعباد مدة طويلة ، ومن هذه الشعوب : الشعب التركى والفارسى والمصرى ، كما سيشير الشاعر إلى ذلك بعد . فشبه سكوتهم فيما مضى بنوم أهل الكهف .

(٦) نيازى وأنور : بطلان معروفان من أبطال جمعية الاتحاد التركية ، وقد أبليا بلاء حسنا فى إعادة الدستور الى أمتهما .

(٧) تواصوا ، أى الترك . والتواصى : أن يوصى القوم بعضهم بعضا . والحجا : العقل . وجدّوا جدّهم ، أى اجتهدوا وثابروا .

obeikandl.com

فسادُوا وشادُوا للهلالِ منازِلاً * على هامِها سَعْدُ الكواكِبِ يُنْشَرُ (١)

تَجَلَّى بها (عَبْدُ الحَمِيدِ) بوَجْهِه * على شَعْبِه والشاهُ خَزْيانُ يَنْظُرُ (٢)

سَلامٌ على (عَبْدِ الحَمِيدِ) وجَيْشِه * وأُمَّتِه ما قامَ فى الشَّرْقِ مِنْبَرُ

سَلُوا (الفُرْسَ) عَنْ ذِكْرَى أَيادِيهِ عِنْدَهُمْ * فقد كانَ فيه (الفُرْسُ) عُمْيًا فأَبْصَرُوا (٣)

جَلا لَهُمُ وَجْهَ الحياةِ فشاقَهُمْ * فباتُوا على أَبْوابِها وتَجَمْهَرُوا (٤)

يُنادُونَ أَنْ مُنِّى علينا بنَظْرَةٍ * وأَحْيِي قُلوبا أَوْشَكَتْ تَتَفَطَّرُ (٥)

كِلانَا مَشُوقٌ والسَّبِيلُ مُمَهَّدٌ * إلى الوَصْلِ لولا ذلكَ المُتَغَشْمِرُ (٦)

أَطِلِّى علينا لا تَخافِى فإنَّنا * بِسِرِّكِ أَوْفَى منه حَوْلًا وأَقْدَرُ (٧)

سَلامٌ عليكمْ أُمَّةَ (الفُرْسِ) إنكمْ * خَلِيقُونَ أَنْ تَحْيَوْا كِرامًا وتَفْخَرُوا (٨)

ولا أُقْرِئُ (الشاهَ) السَّلامَ فإنّه * يُرِيقُ دِماءَ المُصْلِحِينَ ويَهْدِرُ (٩)

وفيه هَوَى (عبدُ العَزِيزِ) وعَرْشُه * وأَخْنَى عليه الدَّهْرُ والأَمْرُ مُدْبِرُ (١٠)

---

(١) الهام : الرءوس ، الواحدة هامة . (٢) الشاه : ملك العجم . ووصفه بالخزى لأنه لم يعط أمته الدستور أسوة بالترك . (٣) أياديه ، أى أيادى العام ونعمه عليهم . (٤) استعمال « التجمهر » بمعنى التجمع ، كما فى هذا البيت استعمال شائع فى كلام عصرنا ، ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا والصواب : « وتجمروا » بإسقاط الهاء وتشديد الميم ، أى جمعوا . (٥) منى ، خطاب للحياة . وتتفطر : تتشقق . (٦) المتغشمر : المتنمر الظالم ، يريد شاه العجم . (٧) الحول : القوة . يقول : إننا بسبب إدراكنا سر الحياة حين تناها أقوى وأقدر من ذلك الظالم الجبار الذى يحول بيننا وبينها . (٨) خليقون : جديرون . (٩) يشير بهذا البيت إلى ما كان يصبه الشاه على زعماء النهضة وطلاب الحرية فى فارس من أنواع العذاب والقتل . (١٠) وفيه ، أى فى هذا العام المنصرم (سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م) . وهوى : سقط . وعبد العزيز ، هو سلطان مراكش . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . وأخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه .

ولا عَجَبٌ أَنْ ثُلَّ عَرْشُ مُمَلَّكٍ * قَوائِمُـه عُـودٌ ودُفٌّ ومِزْهَـرُ (١)

فأَلْقَى إلى (عبدِ الحَفيظ) بتاجِه * ومَـرَّ على أَدْراجِـه يَتَعَثَّرُ (٢)

وقامَ بِأَمْـرِ المُسْلِمِينَ مُـوَفَّقٌ * على عَهْدِهِ (مُرّاكِشُ) تَتَحَضَّرُ

وفى دَوْلَةِ (الأَفْغانِ) كانتْ شُهورُه * وأَيّامُـه بالسَّـعْدِ واليُمْنِ تَزْهَرُ (٣)

أَقامَ بِهـا والعُـودُ رَيّانُ أَخْضَـرٌ * وفارَقَهـا والعُـودُ فَيْنانُ مُثْمِـرُ (٤)

وعَـوَّذَها باللهِ مِنْ شَـرِّ طامِـعٍ * إذا ما رَمَى (إدْوَرْدُ) أَوْ راشَ (قَيْصَرُ) (٥)

وفيه نَمَتْ فى (الهِنْدِ) للعِـلْمِ نَهْضَـةٌ * أَرَى تَحْتَهـا سِـرًّا خَفِيًّـا سَـيَظْهَرُ (٦)

فَتَجْرِى الى العَلْياءِ والمَجْـدِ شَـوْطَها * ويُحْصِبُ فِيهـا كُلُّ جَـدْبٍ ويَنْضُرُ (٧)

وفيـه بَدَتْ فى أُفْـقِ (جاوَةَ) لَمْعَـةٌ * أَضاءَتْ لأَهْلِيهـا السَّبِيلَ فَبَكَّرُوا (٨)

فيالَيْتَـهُ أَوْلى (الجَـزائِرَ) مِنَّـةً * تُفَـكُّ لهـا تِلْكَ القُيُـودُ وتُكْسَرُ (٩)

---

(١) ثل : هدم . ويشير بهذا البيت إلى طلب عبد العزيز لجماعة من المغنين والمغنيات من مصر . (انظر الكلام على هذا فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . (٢) تولى عبد الحفيظ سلطنة مراكش بعد خلع أخيه عبد العزيز سنة ١٩٠٨ م . وفى عهده جعلت فرنسا مدينة فاس عاصمة البلاد فى ٢١ مايو سنة ١٩١١ م . وقد تنازل عبد الحفيظ لأخيه مولاى يوسف عن السلطنة فى سنة ١٩١٢ م .

(٣) تزهر : تشرق وتضىء . (٤) الفينان من النبات : الحسن الطويل . ويريد خصب البلاد وكثرة الخير فيها . (٥) عوذها : حصنها وحفظها . وإدوارد ، هو إدوارد السابع ملك الإنجليز . وراش السهم يريشه : ألصق عليه الريش ، وذلك ليكون أسرع فى ذهابه نحو الغرض . وقيصر : لقب ملك روسيا . وإنما خص إدوارد وقيصر لمجاورة الهند وروسيا لبلاد الأفغان . والمعنى أن هذا العام حفظ بلاد الأفغان من طمع جيرانها الأقوياء . (٦) نمت : زادت . (٧) ينضر ، من النضرة ، وهى الحسن والبهجة . (٨) لمعة ، أى لمعة من شعاع الأمل . وبكر فلان الى الأمر : أتاه فى أول وقته وبادر إليه . (٩) يريد « بالقيود » فى هذا البيت : قيود الاستعباد والأسر التى قيدت بها فرنسا هذا الإقليم من المغرب .

obeikandi.com

وفى (تُونُس) الْخَضْرَاءِ يالَيْتَه بَنَى * له أَثَرًا فى لَوْحَةِ الدَّهْرِ يُذْكَرُ

وفيه سَرَتْ فى (مِصْرَ) رُوحٌ جَدِيدَةٌ * مُبارَكَةٌ مِنْ غَيْرَةٍ تَتَسَعَّرُ

خَبَتْ زَمَنًا حتّى تَوَهَّمْتُ أَنَّها * تَجافَتْ عن الإيراءِ لولا (كُرُومَرُ)(١)

تَصَدَّى فأَوْراها وهَيْهات أَنْ يَرَى * سَبِيلًا إلى إخْمادِها وهى تَزْفِرُ(٢)

مَضَى زَمَنُ التَّنْوِيمِ يانِيلُ وانْقَضَى * ففِى (مِصْرَ) أَيْقاظٌ على (مِصْرَ) تَسْهَرُ

وقد كان "مُرْفِينُ" الدَّهاءِ مُخَدِّرًا(٣) * فأَصْبَحَ فى أَعْصابِنا يَتَخَدَّرُ

شَعَرْنا بحاجاتِ الحَياةِ فإنْ وَنَتْ * عَزائِمُنا عَنْ نَيْلِها كيفَ نُعْذَرُ؟

شَعَرْنا وأَحْسَسْنا وباتَتْ نُفُوسُنا * من العَيْشِ إلّا فى ذَرَا العِزِّ تَسْخَرُ(٤)

إذا اللهُ أَحْيَا أُمَّةً لَنْ يَرُدَّها * إلى المَوْتِ قَهّارٌ ولا مُتَجَبِّرُ

رِجالَ الغَدِ المأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى قادَةٍ تَبْنِى وشَعْبٍ يُعَمِّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى عالِمٍ يَدْعُو وداعٍ يُذَكِّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى عالِمٍ يَدْرِى وعِلْمٍ يُقَرَّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى حِكْمَةٍ تُمْلَى وكَفٍّ تُحَرِّرُ

---

(١) خبت : سكنت وخمدت . وتجافت : تباعدت . و إيراء النار : إشعالها .

(٢) تصدّى : تعرّض . وتزفر، أى يسمع صوت توقدها . يقول : إن اللورد كرومر عميد الدولة الإنجليزية تصدّى لنار الوطنية فى قلوب المصريين فأشعلها بعد خمودها بما صبه عليهم من المظالم والمحن .

(٣) المرفين : مخدّر معروف ؛ والمراد به هنا خداع السياسة . (٤) ذرا العز (بفتح الذال) : كنفه وظله .

رِجالَ الغَـدِ المَأْمُولِ إنّا بحاجَـةٍ * إليكمْ فسُـدُّوا النَّقْصَ فِينَا وشَمِّرُوا (١)

رِجالَ الغَدِ المأمولِ لا تَتْرُكُوا غَدًا * يَمُرُّ مُرُورَ الأَمْسِ والعَيْشُ أَغْبَرُ

رِجالَ الغَـدِ المَأْمُولِ إنّ بِلادَكُمْ * تُنَاشِـدُكُمْ باللهِ أنْ تَتَذَكَّرُوا

عليكمْ حُقـوقٌ لِلبِـلادِ أَجَلُّهـا * تَعَهُّـدُ رَوضِ العِـلْمِ فالرَّوْضُ مُقْفِرُ

قُصـارَى مُنَى أَوطانِكُمْ أَنْ تَرَى لَكُمْ * يَدًا تَبْتَنِي مَجْـدًا ورَأْسًا يُفَكِّرُ (٢)

فكُونُوا رِجالًا عامِلِينَ أَعِزَّةً * وصُـونُوا حِمَى أَوْطانِكُمْ وتَحَـرَّرُوا

ويا طالِبِي الدُّسْتُورِ لا تَسْكُنُوا ولَا * تَبِيتُـوا على يَأْسٍ ولا تَتَضَجَّرُوا

أَعِـدُّوا لَه صَـدْرَ المَكانِ فإنّنِي * أَرَاهُ عـلى أَبْـوابِكُمْ يَتَخَطَّـرُ

فـلَا تَنْطِقُـوا إلّا صَـوابًا فإنّنِي * أَخافُ عليكمْ أنْ يُقالَ تَهَوَّرُوا (٣)

فما ضاعَ حَقٌّ لم يَنَمْ عنـه أَهْلُه * ولا نالَهُ فِي العـالَمِينَ مُقَصِّـرُ

لقـد ظَفِـرَ الأَتْرَاكُ عَدْلًا بِسُـؤْلِهِمْ * ونَحْـنُ على الآثارِ لا شَكَّ نَظْفَرُ

هُمُ لهـمُ العـامُ القَـدِيمُ مُقَـدَّرٌ * ونَحْنُ لنـا العـامُ الجَـدِيدُ مُقَـدَّرُ

تِقُـوا بالأَمِـيرِ القـائِمِ اليـومَ إنّه * بِكُمْ وبِمـا تَرْجُونَ أَدْرَى وأَخْبَرُ (٤)

فلا زَالَ مَحْرُوسَ الأَرِيكَةِ جالِسًا * على عَرْشِ (وادِي النِّيلِ) يَنْمِي ويَأْمُرُ

---

(١) شمر للأمر : استعد له .

(٢) قصارى منى أوطانكم ، أى غاية مناها ؛ يقال : قصاراك أن تفعل كذا ، أى جهدك وغايتك وآخر أمرك .

(٣) تهوروا : وقعوا فى المكروه بقلة مبالاة ؛ والمراد هنا التكلم فى شئون السياسة بما تؤاخذهم به القوانين .

(٤) الأمير ، هو عباس حلمى الثانى خديوى مصر السابق .

الانقلاب العثمانى

فالها فى ثورة الأتراك التى انتهت بخلع السلطان عبد الحميد[1] وتولية السلطان محمد الخامس

[نشرت فى ١٢ مايو سنة ١٩٠٩ م]

لا رَعَى اللهُ عَهْدَها مِنْ جُدُودِ * كيفَ أَمْسَيْتَ يابْنَ (عَبْدِ المَجِيدِ)[2]

مُشبِعَ الحُوتِ مِنْ لُحُومِ البَرَايَا * ومُجِيعَ الجُنُودِ تَحْتَ البُنُودِ[3]

كنتُ أَبْكِى بالأَمْسِ مِنْكَ فمالِى * بِتُّ أبكِى عليكَ (عبدَ الحميدِ)؟

فَرِحَ المُسْلِمُونَ قبلَ النَّصارَى * فيكَ قبلَ الدُّرُوزِ قبلَ اليَهودِ

شَمِتُوا كُلُّهُمْ وليس مِنَ الهِمَّةِ أَنْ يَشْمَتَ الوَرَى فى طَرِيدِ

أنتَ (عبدُ الحميدِ) والتاجُ مَعْقُو * دٌ و(عبدُ الحميدِ) رَهْنَ القُيُودِ

خالِدٌ انتَ رَغْمَ أَنْفِ اللَّيالِى * فى كِبارِ الرجالِ أَهْلِ الخُلُودِ

لكَ فى الدَّهْرِ — والكمالُ مُحالٌ — * صَفَحاتٌ ما بينَ بِيضٍ وسُودِ

حاوَلُوا طَمْسَ ما صَنَعْتَ ووَدُّوا * لو يُطِيقُونَ طَمْسَ خَطِّ الحَدِيدِ[4]

---

(١) ولد السلطان عبد الحميد فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م، وولى الملك فى أغسطس سنة ١٨٧٦ م، وخلع فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ م، وتوفى فى ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ م. (٢) الجدود : الحظوظ؛ الواحد جدّ (بفتح الجيم وتشديد الدال). (٣) يشير بقوله « مشبع الحوت » : الى من كان يأمر السلطان عبد الحميد بإغراقهم فى مضيق البسفور. والبنود : الأعلام الكبيرة؛ الواحد بند، وهو فارسى معرب. ويشير بقوله « ومجيع الجنود » : الى ما كان يقاسيه الجيش التركى من شظف العيش وضيق ذات اليد. (٤) يريد الخط الحديدى الحجازى بين دمشق والمدينة الذى أنشأه السلطان عبد الحميد، وبدئ العمل فيه سنة ١٩٠٠ م، واحتفل بافتتاحه فى سنة ١٩٠٨ م.

ذاكَ (عَبْـدَ الحميـدِ) ذُخْرُكَ عنـد اللهِ باقٍ إنْ ضـاعَ عِنْـدَ العَبِيـدِ

أَكْرِمُـوهُ وراقِبُـوا اللهَ فى الشَّـيْـ * ـخِ ولا تُرْهِقُـوهُ بالتَّهْـدِيدِ (١)

لا تَخـافُوا أَذاهُ فالشَّـيْخُ هـاوٍ * ليسَ فيـه بَقِيَّـةٌ للصـعودِ

وَلِىَ الأَمْرَ ثُلْثَ قَـرْنٍ يُنـادِى * بآسِمِـه كُلُّ مُسْـلِمٍ فى ٱلوُجـودِ

كلَّمـا قامَتِ الصَّـلاةُ دَعَى الدّا * عِى (لعَبْـدِ الحَمِيـدِ) بالتَّأْيِـيـدِ (٢)

فاسمُ هٰـذا الأَسِـيرِ قـد كان مَقْرُو * نًا بِذِكْـرِ الرَّسُـولِ والتَّوْحِيـدِ

بِتُّ أَخْشَى عليـكُمُ أَنْ يَقُـولُوا * إنْ أَثَرْتُمْ مِنْ كامِنـاتِ الحُقـودِ (٣)

كانَ (عَبْـدُ الحَمِيـدِ) بالأَمْسِ فَرْدًا * فغَـدَا اليـومَ أَلْفُ (عبدِ الحَمِيـدِ) (٤)

يا أَسِـيرًا فى (سَنْتِ هِيلِينَ) رَحِّبْ * بأَسِـيرٍ فى (سالُنِيـكَ) جَـدِيدِ (٥)

قُلْ لَهُ كَيْفَ زالَ مُلْكُكَ لَمْ يَعْـ * ـصِمْكَ إعْـدادُ عُـدَّةٍ أَوْ عَـدِيدِ (٦)

لَمْ تَصُـنْكَ الجُنُـودُ تَفْـدِيكَ بالأَرْ * ـواحِ والمـالِ يا غَرامَ ٱلجُنُـودِ

قُلْ له كيفَ كُنْتَ؟ كيف امتَلَكْتَ الـ * ـأَرضَ ؟ كيفَ ٱنْفَرَدْتَ بالتَّمْجِيدِ؟

---

(١) أرهقه : أثقل عليه وظلمه . (٢) يريد «بالصلاة» : صلاة الجمعة . ويريد «بالداعى» : الخطيب . (٣) أثاره إثارة : هيجه . وكامنات الحقود : ما خفى منها . (٤) يقول لمن ولى الأمر من رجال تركيا : إن أثرتم دفائن الصدور ، وأسأتم التصرف فى الأمور ، تضاعف الظلم ، فبدل أن كان يستبد بالأمر ويظلم الرعية فرد واحد هو عبد الحميد ، يصبح مستبدا بأمركم ألف عبد الحميد .

(٥) يريد «بالأسير فى سنت هيلين» : نابليون بونابرت امبراطور فرنسا وقائدها المعروف ، وقد أسر فى جزيرة سانت هيلانة ، وظل بها أسيرا حتى مات ، ونقلت رفاته بعد مدة إلى فرنسا . وسالونيك : مدينة معروفة بمقدونيا ، وكانت من أملاك الدولة العثمانية ، وهى الآن من أملاك اليونان ؛ وقد اعتقل فيها السلطان عبد الحميد بعد خلعه . (٦) لم يعصمك : لم يحفظك . والعدة : السلاح . والعديد : الكثرة .

فثَلَلْتَ العُرُوشَ عَرْشًا فعَرْشًا * وصَبَغْتَ الصَّعِيدَ بَعْدَ الصَّعِيدِ (١)

كلَّما نِلْتَ غايَةً لَمْ تَنَلْها * هِمَّةُ الدَّهْرِ قلتَ : هَلْ مِنْ مَزِيدِ؟

ضاقَتِ الأرضُ عَنْ مَداكَ فأَرْسَلْـ * ـتَ بطَرْفٍ إلى السَّماءِ عَتِيدِ (٢)

قُلْ لَه : جَلَّ مَنْ له المُلْكُ لا مُلْـ * ـكَ لغَيْرِ المُهَيْمِنِ المَعْبُودِ

أنتَ مَهْمَا شَقِيتَ أَرْفَهُ حالًا * مِنْ أَسِيرِ الجَزِيرةِ المَكْمُودِ (٣)

وأَسِيرُ الأَقْفاصِ قد كان أَشْقَى * لو سَأَلْتَ الأَسْفارَ عَنْ (بايَزِيدِ) (٤)

كان (عبدُ الحميد) فى القَصْرِ أَشْقَى * منه فى الأَسْرِ والبَلاءِ الشَّدِيدِ

كان لا يَعْرِفُ القَرارَ بِلَيْلٍ * لا ولا يَسْتَلِذُّ طَعْمَ الهُجُودِ (٥)

حَذِراً يَرْهَبُ الظَّلامَ ويَخْشَى * خَطْرَةَ الرِّيحِ أو بُكاءَ الوَلِيدِ

نَفَقٌ تحتَ طابِقِ الأَرْضِ أَخْفَى * فى تَدَجِّيهِ مِنْ ضَمِيرِ الكَنُودِ (٦)

---

(١) ثللت العروش ، أى هدمت ملكها . والصعيد : التراب . يريد أنه صبغه بدماء أعدائه .

(٢) المدى : الغاية . والعتيد : المعدّ المهيأ . (٣) أرفه حالا : أحسنها . وأسير الجزيرة : نابليون بونابرت . والجزيرة : سانت هيلانة السابق ذكرها . والمكمود : المحزون . (٤) الأسفار : الكتب ؛ الواحد : سفر (بكسر فسكون) . وبايزيد ، هو بايزيد الأوّل ابن السلطان مراد الأوّل ، وهو السلطان الرابع من سلاطين آل عثمان ، ولد عام ٧٦١ هـ . وجلس على كرسى الملك بعد وفاة أبيه عام ٧٩١ هـ . وتوفى فى سنة ٨٠٥ هـ . ويشير الشاعر بهذا البيت الى وقوع بايزيد فى أسر تيمورلنك ملك التتار فى موقعة أنقرة سنة ٨٠٥ هـ ؛ وسجنه إياه فى قفص حتى مات كمدا بعد سجنه بثمانية أشهر .

(٥) الهجود : النوم . (٦) النفق (بالتحريك) : سرب فى الأرض له مخرج إلى مكان . ويشير إلى المواضع الخفية التى كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد حذرا من أعدائه . وتدجيه : إظلامه . والكنود : الكفور . شبه ظلام المسارب التى كان يختبئ فيها عبد الحميد بظلام قلب الكفور لعدم نفوذ ضوء الحق اليه .

يُعْجِزُ الوَهْمَ عن تَلَمُّسِ ذاكَ الـ * ـبابِ بابِ الخَلِيفةِ المَنْكُودِ (١)

أَصَحِيحٌ ما قِيلَ عَنْكَ وحَقٌّ * ما سَمِعْنا مِن الرُّواةِ الشُّهُودِ

أَنَّ (عبدَ الحَمِيدِ) قد هَدَمَ الشَّرْ * عَ وأَرْبَى على فِعالِ (الوَلِيدِ)؟ (٢)

إنْ بَرِيئًا وإنْ أَثِيمًا سَتُجْزَى * يومَ تُجْزَى أَمامَ رَبٍّ شَهِيدِ

أَصَحِيحٌ بَكَيْتَ لمّا أَتَى الوَفْـ * ـدُ ونابَتْكَ رِعْشَةُ الرِّعْدِيدِ؟ (٣)

ونَسِيتَ الآباءَ والمَجْدَ والسُّؤْ * دُدَ والعِزَّ يا كَرِيمَ الجُدُودِ؟ (٤)

ما عَهِدْنا المُلُوكَ تَبْكِي ولٰكِنْ * عَلَّها نَزْوَةُ الفُؤادِ الجَلِيدِ (٥)

عَلَّها دَمْعَةُ الوَداعِ لِذاكَ الْـ * ـمُلْكِ أَوْ ذِكْرَةٌ لِتِلْكَ العُهُودِ

غَسَلَ الدَّمْعُ عنكَ حَوْبَةَ ماضِيـ * ـكَ ووَقّاكَ شَرَّ يَوْمِ الوَعِيدِ (٦)

شَفَعَ الدَّمْعُ فِيكَ عِندَ البَرايا * لَيْسَ ذاكَ الشَّفِيعُ بالمَوْدُودِ

دَمْعُكَ اليومَ مِثْلُ أَمْرِكَ بالأَمْـ * ـسِ مُطاعٌ فى سَيِّدٍ ومَسُودِ (٧)

كانَ (عبدُ العَزِيزِ) أَجْمَلَ أَمْرًا * مِنكَ فى يومِ خَلْعِهِ المَشْهُودِ (٨)

---

(١) يقول : ان هذا النفق خفى وضلت سبيله على طالبه ، حتى إنه ليعجز الوهم عن تعرّف الطريق إلى بابه .

(٢) أربى : زاد . والوليد ، هو ابن يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموى المروانى المشهور بالفسق وشرب الخمر وتهاونه بالدين . (٣) يريد الوفد المبعوث بخلعه . والرعديد : الجبان . (٤) السؤدد : السيادة والرفعة . (٥) الجليد : المتجلد الصابر . (٦) الحوبة (بفتح الحاء) : الخطيئة .

(٧) يقول : إن دمعك يوم الخلع قد بلغ من الأثر فى رعيتك ما ردهم عن الانتقام منك ، فكأنه أمر من أوامرك المطاعة يوم كنت على العرش .

(٨) عبد العزيز ، هو أحد سلاطين آل عثمان ، وهو الثانى والثلاثون منهم ، وهو ابن السلطان محمود الثانى . ولد عام ١٢٤٥ هـ ، وتولى الخلافة فى سنة ١٢٧٧ هـ . وخلع فى سنة ١٢٩٣ هـ ، وتوفى فى السنة نفسها . وهو الذى زار مصر فى عهد المغفور له اسماعيل باشا الخديوى ، وسمى باسمه شارع عبد العزيز بالقاهرة .

obeikandl.com

خَافَ مَأْثُورَ قَوْلِهِ فَتَعَالَى * عَنْ صَغَارٍ وماتَ مَوْتَ الأُسُودِ (١)

ضَمَّ مِقْراضَهُ إليه ونادَى * دُونَ ذُلِّ الحياةِ قَطْعُ الوَرِيدِ (٢)

حَيِّ عَهْدَ الرَّشادِ يا شَرْقُ وابلُغْ * ما تَمَنَّيْتَ مِنْ زَمانٍ بَعِيدِ (٣)

قد تَوَلَّى (محمدُ الخامسُ) المُلْ * كَ فأَعْظِمْ بتاجِهِ المَعْقُودِ

وتَجَلَّى فى مِهْرَجانٍ تَجَلَّى * سَيْفُ (عُثْمانَ) فيه بالتَّقْلِيدِ (٤)

وقَفَ الدهرُ خاشِعًا إذ رَأَى السَّيْـ * ـفَيْنِ فى قَبْضَةِ العَزِيزِ المَجِيدِ (٥)

طَأْطِئِي للجَلالِ يا أُمَمَ الأَرْ * ضِ سُجُودًا، هٰذا مَقامُ السُّجُودِ (٦)

عَلِمَ اللهُ أَنَّ عَهْدَ (رَشادٍ) * خَيْرُ فَأْلٍ بِرَدِّ عَهْدِ (الرَّشِيدِ) (٧)

---

(١) الصغار : الذل . يقول : إن هذا السلطان قد خاف فى يوم خلعه أن يأخذ الناس عليه كلمة فيها ضعف ومذلة .

(٢) المقراض : المقص .

(٣) يريد « بالرشاد » : السلطان محمد رشاد الخامس ، وقد تولى الملك فى سنة ١٣٢٧ هـ — سنة ١٩٠٩ م — بعد خلع السلطان عبد الحميد .

(٤) المهرجان : عيد للفرس ، ويطلق على كل عيد . وعثمان ، هو ابن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية التى تنسب اليه . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ١ من صفحة ١٧ من هذا الجزء) .

(٥) يريد « بالسيفين » : سيف عثمان مؤسس الدولة ، وسيف الخليفة الجالس على العرش .

(٦) طأطأ رأسه : خفضه .

(٧) يريد « بالرشيد » : الخليفة العباسى هارون الرشيد الذى بلغت الأمة الإسلامية فى أيامه من الرقى أقصاه .

عيد الدستور العثمانى

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى حديقة الأزبكية فى مساء الجمعة ٢٣ يوليه سنة ١٩٠٩ م

أَجَلْ هٰذه أَعْلَامُهُ ومَوَاكِبُهْ * هَنِيئاً لهمْ فلْيَسْحَبِ الذَّيْلَ ساحِبُهْ (١)

هَنِيئا لهمْ فالكَوْنُ فى يومِ عِيدِهِمْ * مَشارِقُهُ وُضّاءَةٌ ومَغَارِبُهْ (٢)

رَعَى اللهُ شَعْباً جَمَّعَ العَدْلُ شَمْلَه * وتَمَّتْ على عَهْدِ الرَّشادِ رَغائِبُهْ (٣)

تَحالَفَ فى ظِلِّ الهِلالِ إمامُه * وحاخامُه ـ بَعْدَ الخلافِ ـ وراهِبُهْ (٤)

خُذُوا بِيَدِ الإصْلاحِ والامرُ مُقْبِلٌ * فإنِّى أَرَى الإصْلاحَ قد طَرَّ شارِبُهْ (٥)

ورُدُّوا على المُلْكِ الشَّبابَ الَّذى ذَوَى * فإنِّى رأيتُ المُلْكَ شابَتْ ذَوائِبُهْ (٦)

فَمَنْ يَطْلُبِ الدُّسْتُورَ بالسُّوءِ بَعْدَما * حَمَتْه يَدُ (الفارُوقِ) فاللهُ طالِبُهْ

اذا (شَوْكَتُ الفارُوقُ) قامَ مُنادِياً * الى الحَقِّ لَبّاهُ (نيازِى) وصاحِبُهْ (٧)

---

(١) أجل : نعم . وأعلامه ، أى أعلام العيد . ولهم : للأتراك . وسحب الذيل : كناية عن التيه والفخر . (٢) وضاءة (بضم الواو وتشديد الضاد) ، أى ذات حسن وبهجة ، من الوضاءة (بفتح الواو وتخفيف الضاد) (٣) الرغائب : جمع رغيبة ، وهى ما يرغب فيه . (٤) الهلال : شعار الدولة العثمانية . ويريد « بالإمام والحاخام والراهب » : اجتماع المسلمين واليهود والمسيحيين تحت تلك الراية . (٥) طر شاربه : نبت وطلع ، وذلك فى أول عهد الشباب . ويريد بهذه العبارة : أن وقت الإصلاح قد حان . (٦) ذوى : ذبل . والذوائب : الضفائر ؛ الواحدة ذؤابة . وشيب الذوائب ، كناية عن الضعف والانحلال . (٧) شوكت ونيازى : بطلان من أبطال جمعية الاتحاد والترقى التركية . ويريد « بالصاحب » : أنور باشا القائد التركى المعروف . وكان هؤلاء الثلاثة بلاء حسن فى الانقلاب العثمانى المعروف ، وخلع السلطان عبد الحميد ، وإعادة الدستور الى الأمة التركية .

obeikandl.com

ثلاثةٌ آسادٍ يُجانِبُها الرَّدَى * وإنْ هِيَ لاقاها الرَّدَى لا تُجانِبُهْ (١)

يُصارِعُها صَرْفُ المَنُونِ فتَلْتَقِي * مَخالِبُها فيه وتَنْبُو مَخالِبُهْ (٢)

رَوَتْ قولَ (بَشّارٍ) فثارَتْ وأَقْسَمَتْ * وقامت إلى (عَبْدِ الحَمِيدِ) تُحاسِبُهْ:

(إذا المَلِكُ الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّه * مَشَيْنا إليه بالسُّيُوفِ نُعاتِبُهْ) (٣)

وسارَ على أَعْقابِها كلُّ سابِحٍ * على مَتْنِه بُرْجٌ مَشِيدٌ يُداعِبُهْ (٤)

يَصِيحُ به: لارِيَّ أَوْ نَبْلُغَ المُنَى * ولا شِبَعٌ أو يَرْجِعَ الحقَّ غاصِبُهْ

هُنالِكَ فَانْهَلْ واتَّخِذْ ثَمَّ مَرْبَطًا * (بِيَلْدِزَ) واحمَدْ فى الوَغَى مَنْ تُصاحِبُهْ (٥)

رجالٌ مِن الإيمانِ مَلْآى نُفُوسُهُمْ * وجَيْشٌ مِنَ الأَتْرَاكِ ظَمْآى قَواضِبُهْ (٦)

صَوالِجُه سُمْرُ القَنَا، وكُراتُه * رُءُوسُ الأَعادِى، والحُصونُ مَلاعِبُهْ (٧)

---

(١) الردى: الهلاك. (٢) المنون: الموت. وتنبو: تكل وترتد.

(٣) صعر خده: أماله عند النظر إلى الناس تهاونا بهم وكبرا. ويريد بقوله «نعاتبه»: نهدده بالسيوف ونذره بالقتل. وفى استعمال العتاب بهذا المعنى تهكم ظاهر. وهذا البيت من قصيدة لبشار بن برد يمدح بها عمر بن هبيرة. (٤) يريد «بالسابح»: الفرس الشديد الجرى. والمتن: الظهر. ويريد «بالبرج»: الفارس الذى يشبه البرج فى ضخامته. (٥) انهل: اشرب، من النهل (بالتحريك)، وهو السقية الأولى. ويلدز: قصر الخلافة بالقسطنطينية. والوغى: الحرب. يعد الفارس فرسه بأنه سيبلغ مايريد من النصر والظفر، وأنه سيستبيح من حمى القصر ما كان ممتنعا، وهناك يحمد راكبه على صدق وعده. (٦) القواضب: السيوف القواطع. ومعنى قوله «ظمآى قواضبه»: أن سيوفه عطشى إلى دماء الأعداء. (٧) الصوالج: العصىّ المعوجة الأطراف التى يلعبون بها الكرة؛ الواحد صولجان، فارسى معرب. والقنا: الرماح؛ الواحدة قناة. وقد شبه هذا الجيش فى حربه بمن يلعبون الكرة لشوقه إلى الحرب، وقلة مبالاته بالموت فيها، فجعل الرماح صوالجه، ورءوس الأعداء كراته، والحصون مواضع اللعب.

إذا ثارَ دُكَّتْ أَجْبُلٌ وتَخَشَّعَتْ * بِحارٌ وأَمْضَى اللهُ ما هوَ كاتِبُهْ (١)

وثُلَّتْ عُرُوشٌ واستَقَرَّتْ مَمالِكٌ * ولو أَنَّ ذَا القَرْنَيْنِ فيها يُناصِبُهْ (٢)

فَمَنْ لَمْ يُشاهِدْ (يَلْدِزًا) بَعدَ رَبِّها * وقد زالَ عنه المُلْكُ وآندَكَّ جانِبُهْ (٣)

وأَسْلَمَهُ أَحْبابُه لِقُضاتِه * وفَرَّ ولَمْ يَخْشَ المَعَرَّةَ كاتِبُهْ (٤)

وقَلَّمَتِ الأَقْدارُ أَظْفارَ بَطْشِه * ودَلَّ على ما تَجْهَلُ الجِنُّ حاجِبُهْ (٥)

فما شَهِدَ الدُّنْيا تَزُولُ ولا رَأى * بَلاءَ قَضاءِ اللهِ فِيمَنْ يُحارِبُهْ (٦)

أَبِيحَ حِماها وٱنْطَوَى مَجْدُ رَبِّها * وقامَتْ على البَيْتِ (الحَمِيدِى) نَوادِبُهْ (٧)

ولَمْ يُغْنِ عن (عَبْدِ الحَمِيدِ) دَهاؤُه * ولا عَصَمَتْ (عبدَ الحَمِيدِ) تَجارِبُهْ (٨)

ولَمْ يَحْمِه حِصْنٌ ولَمْ تَرْمِ دُونَه * دَنانِيرُه والأَمْرُ بالأَمْرِ حازِبُهْ (٩)

ولَمْ يُخْفِه عَنْ أَعْيُنِ الحَقِّ مُجْدَعٌ * ولا نَفَقٌ فى الأَرْضِ جَمٌّ مَسارِبُهْ (١٠)

---

(١) دكت : تهدّمت . وما هو كاتبه ، أى ما هو مقدّره من النصر والظفر لهذا الجيش .

(٢) ثلث : هدمت . وذو القرنين : ملك معروف باتساع الملك وكثرة الفتوحات . ويناصبه : يعاديه . (٣) ربها : صاحبها ، وهو عبد الحميد .

(٤) يريد «بكاتبه» : عزت العابد باشا . (٥) يقال : هو مقلم الأظفار ، اذا كان أعزل بغير سلاح . ويريد « بما تجهل الجن » : السراديب والأنفاق التى كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد من أعدائه . (٦) فما : جواب « من » فى قوله السابق : « فمن لم يشاهد ... الخ » .

(٧) أبيح حماها ، أى صارت يلدز مفتحة النواحى لكل داخل مهما قل شأنه .

(٨) عصمت : حفظت . (٩) لم ترم دونه دنانيره ، أى أن أمواله لم تدفع عنه أعداءه . فشبه المال بحفظ صاحبه من أعدائه بمن يرمى السهام دفاعا عمن يحتمى به . وحزبه الأمر : نابه وآشتدّ عليه وضغطه . (١٠) يشير فى هذا البيت الى المخابئ والأنفاق التى كان قد أعدّها عبد الحميد تحت الأرض ليختبئ فيها من أعدائه .

أَقامَ عليه مَهْلَكًا عندَ مَهْلَكٍ * يَمُرُّ به رَوْحُ الصَّبا فيُواثِبُهْ (١)

تَحامَاهُ حتّى الوَهْمُ خَوْفَ اغتيالِه * فلو مَسَّه طَيْفٌ لدارَتْ لَوالِبُهْ

وأَسْرَفَ فى حُبِّ الحَياةِ فخاطَها * بسُورٍ من الأَهْوالِ لَمْ يَنْجُ راكِبُهْ

ففى كلِّ قُفْلٍ لِلَنِيَّةِ مَكْمَنٌ * وفى كلِّ مِفْتاحٍ قَضاءٌ يُراقِبُهْ (٢)

وفى كلِّ رُكنٍ صُورَةٌ او تَكَلَّمَتْ * لَمَا شَكَّ فى (عَبْدِ الحَمِيدِ) مُخاطِبُهْ

تَماثِيلُ إيهامٍ أَنِيمَتْ وأُقْعِدَتْ * تَراءَى بها أَعْطافُه ومَناكِبُهْ (٣)

تُمَثِّلُه فى نَوْمِه وجُلُوسِه * وتَخْدَعُ فيه الموتَ حِينَ يُقارِبُهْ

أَقامَ عليه أَلْفَ مَوْتٍ مُحَجَّبٍ * لِيَغْلِبَ مَوْتًا واحدًا عَزَّ غالِبُهْ

سَلُوهُ أَأَغْنَتْ عنه فى يومِ خَلْعِه * عَجائِبُه ؟ أو أَحْرَزَتْه غَرائِبُهْ ؟ (٤)

وقد نَزَلَ المِقْدارُ بالأَمْرِ صادِعًا * فضاقَتْ على شَيْخِ المُلُوكِ مَذاهِبُهْ (٥)

وأَخْرَجَه مِنْ (يَلْدِزٍ) رَبُّ (يَلْدِزٍ) * وجَرَّدَه مِنْ سَيْفِ (عُثْمانَ) واهِبُهْ

وأَصْبَحَ فى مَنْفاهُ والجَيْشُ دُونَه * يُغالِبُ ذِكْرَى مُلْكِه وتُغالِبُهْ (٦)

---

(١) الروح : الريح . يقول : إن عبد الحميد قد بالغ فى المحافظة على نفسه حتى أقام حوله من أسباب الهلاك لطالبه ما لو مرت به ريح الصبا لوثب عليها ظنا منه أنها من أعداء السلطان .

(٢) يشير بهذا البيت الى ما كان يروى من العجائب التى كان يتخذها السلطان عبد الحميد فى الحذر على نفسه من أعدائه ، حتى إنه قد صنعت لحجابه وخزائن أمواله أقفال إذا حاول غيره فتحها أصابه منها ما يقتله .

(٣) تراءى ، أى تتراءى . والأعطاف : الجوانب . (٤) أحرزته : حفظته .

(٥) المقدار : القدر . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحا . (٦) والجيش دونه ، أى واقف دونه يمنعه من الفرار .

يُنادِيه صَوْتُ الحَقِّ : ذُقْ ما أَذَقْتَهُمْ * فكلُّ امرئٍ رَهْنٌ بما هُوَ كاسِبُهْ (١)

هُمُ مَنَحوكَ اليومَ ما أَنتَ مُشْتَهٍ * فَرُدَّ لهمْ بالأَمْسِ ما أَنتَ سالِبُهْ (٢)

ودَعْ عَنْكَ ما أَمَّلْتَ إنْ كنتَ حازِمًا * فلَمْ يَبْقَ لِلآمالِ فَضْلٌ تُجاذِبُهْ (٣)

مَضَى عَهْدُ الاستِبْدادِ وانْدَكَّ صَرْحُه * ووَلَّتْ أَفاعِيهِ وماتَتْ عَقارِبُهْ (٤)

لَكَ اللهُ يا (تَمُّوزُ) إنَّكَ بَلْسَمٌ * لِجَرْحَى الأَسَى والدَّهْرُ تَعْدُو نَوائِبُهْ (٥)

فكَمْ رُعْتَ جَبّارًا وأَرْهَقْتَ ظالِمًا * وأَنْصَفْتَ مَظْلُومًا تَوالَتْ مَصائِبُهْ (٦)

فَدَيْناكَ مِنْ شَهْرٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ * أَوائِلُهُ مَيْمُونَةٌ وعَواقِبُهْ (٧)

تُقابِلُه الأَعْيادُ في الأَرضِ كلَّما * تَجَلَّى هِلالُ الشَّهْرِ أَو لاحَ حاجِبُهْ (٨)

ففي الغَرْبِ عِيدٌ يَنْظِمُ الغَرْبُ حُسْنَه * فَتَهْتَزُّ مِنْ وَقْعِ السُّرورِ جَوانِبُهْ (٩)

وفي الشَّرقِ عِيدٌ لَمْ يَرَ الشَّرْقُ مِثْلَه * تَدَفَّقُ في دارِ السَّلامِ مَواكِبُهْ (١٠)

(١) رهن بما هو كاسبه ، أى مجزى بما اقترفه هو ، لا بما اقترفه غيره ؛ يقال : هو رهن بكذا ، أى مقصور عليه لا يتعداه . (٢) ما أنت مشته ، أى الحياة . وما أنت سالبه ، أى حقوق الأمة وحريتها .

(٣) شبه «الآمال» بالرداء الذى له فضول ، أى زيادات يجذب منها . يقول : إن آمالك فى الملك قد قصرت فليس فيها موضع تمسكه بيدك وتجذبها منه . (٤) الصرح : ما علا من البنيان . ويريد «بالأفاعى والعقارب» : جواسيس عبد الحميد ورسل الشر فى عهده . (٥) تموز : شهر معروف من السنة المسيحية ، ويوافق شهر يوليه ، وهو الذى نالت فيه الأمة التركية دستورها . والبلسم : دواء تضمد به الجراح . (٦) رعت : أفزعت . وأرهقت ظالما : حملته ما لا يطيق من العذاب .

(٧) يقال : يوم أو شهر أغر محجل ، اذا كان مشهورا ؛ وأصلهما من الصفات الممدوحة فى الخيل ، الأغر منها ما كان فى جبهته بياض ، والمحجل ما كان البياض فى قوائمه . (٨) تجلى : ظهر .

(٩) يريد «بالعيد الذى فى الغرب» : عيد الحرية فى فرنسا ، وهو فى شهر تموز (١٤ يوليه) .

(١٠) يريد «بالعيد الذى فى الشرق» : عيد الدستور التركى ؛ وقد نسبه الى الشرق ، لأن الأمم الشرقية التابعة لتركيا كانت تتخذ هذا اليوم عيدا مثلها . ودار السلام : القسطنطينية .

يُطِيفُونَ بالعَرْشِ الكَرِيمِ ورَبِّه * تُطِيفُ بهِمْ آلاؤُه ومناقِبُهْ (١)

لِتَهْنِئْ أَمِيرَ المؤمنين مُحَمَّدا * خِلافَتُه فالعَرْشُ سَعْدٌ كَوَاكِبُهْ

سَتَمْلِكُ أَمْواجَ البِحارِ سَفِينُه * كما مَلَكَتْ ثُمَّ الجِبالِ كَتائِبُهْ (٢)

مَمالِكُهُ مَحْرُوسَةٌ وثُغُورُه * رَكائِبُهُ مَنْصورَةٌ ومَراكِبُهْ

إلى البرنس حسين كامل باشا (٣)

رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، عبر فيها عن آلام الأمة المصرية وآمالها

[نشرت فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩ م]

لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فمَتَى تَنامُ * أَهَمٌّ ذادَ نَوْمَكَ أَمْ هُيامُ (٤)

غَفَا المَحْزُونُ والشاكِي وأَغْفَى * أَخُو البَلْوَى ونامَ المُسْتَهامُ (٥)

وأنتَ تُقَلِّبُ الكَفَّيْنِ آنًا * وآوِنَةً يُقَلِّبُكَ السَّقامُ (٦)

تَحَدَّرَتِ المَدامِعُ مِنكَ حَتَّى * تَعَلَّمَ مِنْ مَحاجِرِكَ الغَمامُ (٧)

---

(١) الآلاء : النعم . والمناقب : الخصال الحميدة ؛ الواحدة منقبة .

(٢) شم الجبال : أعاليها ، الواحد أشم . والكتائب : فرق الجيش ؛ الواحدة كتيبة .

(٣) ولد السلطان حسين كامل فى يوم ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ — ٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م . وفى يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر . وتوفى رحمه الله فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .

(٤) نصل الدجى : خرج من سواده وأبيض بطلوع الصباح . وذاد : منع . والهيام : العشق .

(٥) غفا وأغفى : نام . والمستهام : العاشق .

(٦) تقليب الكف : كناية عن الحيرة .

(٧) المحاجر : جمع محجر (بفتح الميم وكسر الجيم وسكون ما بينهما) ، وهو ما دار حول العين . والغمام : السحاب . يقول : إن السحاب تعلم انهمال مطره من انهمال مدامعك .

وضَجَّتْ مِنْ تَقَلُّبِكَ الحَشَايَا (١) * وأَشْفَقَ مِنْ تَلَهُّفِكَ الظَّلامُ

تَبِيتُ تُساجِلُ الأَفْلاكَ سُهْدًا (٢) * وعَيْنُ الكَوْنِ رَنَّقَها المَنامُ

وتَكْتُمُنا حَدِيثَ هَواكَ حَتَّى * أَذاعَ الصَّمْتُ ما أَخْفَى الكَلامُ

بِرَبِّكَ هَلْ رَجَعْتَ إلى رَسِيسٍ (٣) * مِنَ الذِّكْرَى وهَلْ رَجَعَ الغَرامُ؟

وقد لَمَعَ المَشِيبُ وذاكَ سَيْفٌ (٤) * عَلى فَوْدَيْكَ عَلَّقَهُ الحِمامُ

أَيَجْمُلُ بالأَدِيبِ أَدِيبِ مِصْرٍ (٥) * بُكاءُ الطِّفْلِ أَرْهَقَهُ الفِطامُ

ويَصْرِفُه الهَوَى عن ذِكْرِ مِصْرٍ (٦) * ومِصْرٌ فى يَدِ الباغِي تُضامُ؟

عَدِمْتُ يَراعَتِي إن كان ما بى (٧) * هَوًى بين الضُّلوعِ له ضِرامُ

وما أنا والغَرامَ وشابَ رَأْسِى (٨) * وغالَ شَبابِيَ الخَطْبُ الجُسامُ

ورَبِّانِي الَّذى رَبَّى (لَبِيدًا) (٩) * فعَلَّمَنِي الَّذى جَهِلَ الأَنامُ

---

(١) الحشايا : الفرش المحشوة ؛ الواحدة حشية (بتشديد الياء) . (٢) تساجل الأفلاك سهدا ، أى تشاركها فى السهر وتناوبها فيه . ورنقها : خالطها . (٣) الرسيس : البقية والأثر .

(٤) الفودان : ناحيتا الرأس . والحمام (بكسر الحاء) : الموت . ويريد «بالسيف المعلق على ناحيتى الرأس» : الشيب ، لأن كليهما قاتل .

(٥) أرهقه : آذاه وآلمه . (٦) الباغى : الظالم . (٧) اليراعة : القلم . ويريد بلاغته وأدبه ، لأنهما يكتبان به . وضرام النار : اشتعالها . (٨) غاله : أفناه وأهلكه . والجسام والجسيم : العظيم . (٩) يريد لبيد بن ربيعة العامرى الشاعر المعروف ، صاحب المعلقة المشهورة ، التى أولها : *عفت الديار محلها فمقامها* . وكان من المعمرين ، أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم . ويريد «بالذى ربى لبيدا» : الزمان وتطاوله ، وخصه بالذكر لأنه من المعمرين ، ومن جربوا الحياة حتى سئموها ، قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبد؟

لَعَمْرُكَ ما أَرِقْتُ لغَيْرِ مِصْرٍ * ومالِي دُونَها أَمَلٌ يُرامُ (١)

ذَكَرْتُ جَلالَها أيّامَ كانَتْ * تَصُولُ بها الفَراعِنَةُ العِظامُ

وأيّامَ الرجالُ بها رِجالٌ * وأيّامَ الزَّمانُ لها غُلامُ

فأَقْلَقَ مَضْجَعِي ما باتَ فِيها * وباتَتْ مِصْرُ فيه ، فهَلْ أُلامُ؟

أَرَى شَعْباً بمَدْرَجَةِ العَوادِي * تَمَخَّخَ عَظْمَهُ داءٌ عُقامُ (٢)

إذا ما مَرَّ بالبَأْساءِ عامٌ * أَطَلَّ عليه بالبَأْساءِ عامُ

سَرَى داءُ التَّواكُلِ فيه حَتّى * تَخَطَّفَ رِزْقَه ذُاكَ الزِّحامُ (٣)

قد اسْتَعْصَى على الحُكَماءِ مِنّا * كما اسْتَعْصَى على الطِّبِّ الجُذامُ (٤)

هَلاكُ الفَرْدِ مَنْشَؤُهُ تَوانٍ * ومَوْتُ الشَّعْبِ مَنْشَؤُهُ انْقِسامُ

وإنّا قد وَنِينا وانْقَسَمْنا * فلا سَعْيٌ هُناكَ ولا وِئامُ

فساءَ مُقامُنا فى أَرْضِ (مِصْرٍ) * وطابَ لغَيْرِنا فيها المُقامُ

فلا عَجَبٌ إذا مُلِكَتْ علينا * مَذاهِبُنا وأكثَرُنا نِيامُ (٥)

(حُسَيْنُ حُسَيْنُ) أنتَ لها فَنَبِّهْ * رِجالًا عن طِلابِ الحقِّ ناموا

وكُنْ بأبِيكَ لابْنِ أَخِيكَ عَوْناً * فأَنْتَ بكَفِّهِ نِعْمَ الحُسامُ (٦)

---

(١) أرق أرقا (وزان فرح فرحا) : سهر . (٢) المدرجة : الطريق . والعوادى : النوائب . وتمخخ العظم ، إذا أخرج مخه . والداء العقام : الذى لا يرجى البرء منه . (٣) يريد «بالزحام» : مزاحمة الأجانب للمصريين . (٤) الضمير فى «استعصى» : يعود على «التواكل» السابق .

(٥) المذاهب : الطرق . (٦) يريد «بابن أخيه» : عباس الثانى خديوى مصر السابق .

أَفِضْ فى قاعَةِ الشُّورَى وِئامًا * فقَـدْ أَوْدَى بِنَا وَبِها ٱلخِصامُ

وعَلِّمْهُمْ مُصادَمَةَ العَـوادِى (١) * فِمِثْلُكَ لا يُرَوِّعُـه الصِّـدامُ

ففى حِزْبِ اليَمينِ لَدَيْكَ قَـوْمٌ * وإنْ قَـلُّوا فإنَّهُـمُ كِـرامُ

وفى حِزْبِ الشِّمالِ لَدَيْكَ أُسْـدٌ (٢) * كُماةٌ لا يَطِيبُ لها ٱنهِـزامُ

فَكونوا للبِلادِ ولا يَفُتْكُمْ (٣) * مِنَ النُّهُزاتِ والفُرَصِ ٱغتِنامُ

فما سـادُوا بمُعْجِزَةٍ علينـا (٤) * ولٰكنْ فى صُـفوفِهِمُ ٱنضِمامُ

فلا تَثِقُوا بوَعْـدِ القَـوْمِ يومًا (٥) * فإنّ سَحَـابَ ساسَتِهِمْ جَهـامُ

وخافُوهُـمْ إذا لانُـوا فإنِّى (٦) * أَرَى السُّـوَّاسَ ليس لهُمْ ذِمَامُ

فكَمْ ضَحِكَ العَمِيدُ على لِحانَا (٧) * وغَرَّ سَراتَنـا مِنْـه ٱبْتِسـامُ

أَبَا الفَـلّاحِ إنّ الأَمْرَ فَوْضَى (٨) * وجَهْلُ الشَّعْبِ والفَوْضَى لِزامُ

فأَسْـعِدْنا بنَشْرِ العِـلْمِ وٱعـلَمْ * بأنّ النَّقْصَ يَعْقُبُـه التَّمـامُ

---

(١) العوادى : النوائب . ويروّعه : يفزعه .

(٢) الكماة : الشجعان ؛ الواحد كمى (بفتح الكاف وتشديد الياء) .

(٣) النهزات : ما ينتهز من الفرص ، الواحدة نهزة (بضم فسكون) .

(٤) سادوا : يريد شعوب الغرب .

(٥) يريد « بالقوم » : الإنجليز . و « بوعدهم » : ما وعدوا به مصر من الجلاء عنها . والجهام من السحب (بفتح الجيم) : الذى لا ماء فيه .

(٦) الذمام : الذمة والعهد .

(٧) يريد عميد الدولة الإنجليزية (السير غورست) . والسراة من الناس : أهل الرفعة والمنزلة ؛ الواحد سرى (بفتح السين وتشديد الياء) .

(٨) أبو الفلاح : كنية كان يكنى بها المغفور له السلطان حسين كامل ، وذلك لما كان يظهره من العناية بالفلاحين والنظر فيما يصلحهم ويعود عليهم بالرفاهية والخصب . ولزام ، أى ان الجهل والفوضى متلازمان ، إذا وجد أحدهما وجد الآخر .

وليس العلمُ يُمسكُنا وحيدًا * اذا لم ينصُرِ العلمَ اعتزامُ

وإنْ لم يُدرِك الدُّستورُ (مصرًا) (١) * فما لحياتها أبدًا قِوامُ

حَمَوْنا وِرْدَ ماءِ (النِّيلِ) عَذْبًا (٢) * وقالوا : إنّه مَوْتٌ زُؤامُ

وما الموتُ الزُّؤامُ إذا عَقَلْنا * سِوى الشَّركاتِ حَلَّ لها الحَرامُ

لقد سَعِدَتْ بغفْلَتِنا فراحَتْ * بثَرْوَتِنا وأَوَّلُها (الترَّامُ)

فياوَيْلَ القَناةِ إذا احتواها (٣) * (بَنُو التّامِيزِ) وانحَسَرَ اللِّثامُ

لقد بَقِيَتْ مِنَ الدُّنيا حُطامًا (٤) * بأيْدِينا وقد عَزَّ الحُطامُ

وقد كُنّا جَعَلْناها زِمامًا (٥) * فوالهَفِي اذا قُطِعَ الزِّمامُ

(فيا قَصْرَ الدُّبارَةِ) لستُ أَدْرِى * أَحَرْبٌ فى حِرابِكَ أمْ سَلامُ

أَجِبْنَا ، هل يُرادُ بنا وَراءٌ (٦) * فنَقْضِى أَمْ يُرادُ بنا أَمامُ

ويا حِزْبَ اليَمينِ إليكَ عَنّا * لقد طاشَتْ نِبالُكَ والسِّهامُ

ويا حِزْبَ الشِّمالِ عليكَ مِنّا * ومِنْ أَبْناءِ نَجْدَتِكَ السَّلامُ

---

(١) قوام الأمر : نظامه وعماده وملاكه الذى يقوم به . (٢) يشير بهذا البيت الى شركة المياه . ويريد بقوله : « موت زؤام » : ما يحمله ماء النيل الكدر من الجراثيم . (٣) القناة ، أى قناة السويس . وبنو التاميز : الإنجليز . والتاميز : نهر عندهم معروف . ويريد « بانحسار اللثام » : انكشاف الحجاب عما يضمرونه نحو مصر . (٤) بقيت ، أى القناة . (٥) يريد بهذا البيت والذى قبله أن قناة السويس قد بقيت فى يدنا تراثا عن السلف على قلة تراثنا ، وقد كنا نأمل منها أن تكون صلة بيننا وبين العالم وأخوف ما نخافه أن تنقطع هذه الصلة . (٦) نقضى : نموت . (٧) حزب اليمين : الأعضاء الذين كانوا يؤيدون الحكومة فى مجلس شورى القوانين . وحزب الشمال : المعارضون الذين كانوا يؤيدون رأى الأمة . وأبناء نجدتك ، أى الذين يناصرونك ويرون رأيك . والنجدة : الشجاعة والنصرة .

تحيـــة العـام الهجـــرى

[سنة ١٣٢٨هـ — يناير سنة ١٩١٠م]

لى فيكَ حينَ بَدَا سَناكَ وأَشْرَقَا * أَمَـلٌ سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَتَحَقَّقَا (١)

أَشْرِقْ علينـا بالسُّعُودِ ولا تَكُنْ * كَأَخِيـكَ مَشْـئُومَ المَنازِلِ أَخْرَقَا (٢)

قد كانَ جَرّاحَ النُّفُوسِ فَداوِها * مِمّـا بِها وكُنِ الطَّبِيبَ مُوَفَّقَـا

هَـلَّلْتُ حِينَ لَمَحْتُ نُورَ جَبِينِه * ورَجَوْتُ فيه الخَيْرَ حِينَ تَأَلَّقَا (٣)

وهَـزَزْتُه بقَصِيـدَةٍ لو أَنَّهـا * تُلِيَتْ على الصَّخْرِ الأَصَمِّ لأَغْـدَقَا (٤)

فَنَأَى بجانِبِـه وخَصَّ بَنَحْسِـه * مِصْرًا وأَسْرَفَ فى النُّحُوسِ وأَغْرَقَا (٥)

لو كُنْتُ أَعْـلَمُ ما يُحَبِّئُـه لنـا * لسأَلْتُ رَبِّى ضارِعًا أَنْ يُمْحَقَـا

أَوْلَى الأَعاجِمَ مِنَّـةً مَذْكُورَةً * وأَعادَ للأَتْرَاكِ ذاكَ الرَّوْنَقَـا (٦)

وتَغَـيَّرَتْ فيـه الخُطوبُ بفـارِسٍ * حتّى رأَيتُ الشاهَ يَخْشَى البَيْـدَقَا (٧)

---

(١) السنا : الضوء . يخاطب هلال المحرم . (٢) يريد بقوله «أخيك» : هلال العام الذى قبله . والمنازل : البروج التى ينتقل فيها القمر . والأخرق : من الخرق (بضم الخاء) والخرق (بفتح الخاء والراء) ، وهو القسوة والحمق . (٣) تألق : أضاء وأشرق . (٤) يقال : هزه إلى المعروف : اذا حركه اليه وشوقه الى عمله . وأغدق : تفجر بالماء الكثير . ويريد «بالقصيدة» : القصيدة السابقة التى أولها :

أطل على الأكوان والخلق تنظر * هـلال رآه المسلمون فكبروا

(٥) نأى : بعد . يريد أنه أعرض عن رجائنا فيه . وأغرق فى النحوس : بالغ فيها وأفرط .

(٦) أولى : أعطى . ويريد أن الأعاجم ، وهم الفرس ، نالوا فيه الدستور ، وكذلك الترك .

(٧) الخطوب : الشئون ؛ الواحد : خطب (بفتح الخاء) . والشاه : ملك العجم . والبيدق : الجندى . ويشير إلى الشاه والبيدق من قطع الشطرنج . والمعنى أن الحكم فى فارس قد أصبح بيد الأمة حتى أصبح الملك يخشى رعيته بعد أن كانت تخشاه .

وأَدالَ مِنْ (عبدِ الحميدِ) لشَعْبِه * فهَوَى وحاوَلَ أَنْ يَعُودَ فأَخْفَقَا (١)

أَمْسَى يُبالِي حارِسًا مِنْ جُنْدِه * ولقد يَكُونُ وما يُبالِي الفَيْلَقَا (٢)

ورَمَى على أَرْضِ الكِنانَةِ جِرْمَه * بالنازِلاتِ السُّودِ حتّى أَرْهَقَا (٣)

حَصَدَتْ مَناجِلُه غِراسَ رَجائِنا * ولو أَنَّها أَبْقَتْ عليه لأَوْرَقَا (٤)

فتَقَيَّدَتْ فيه الصّحافَةُ عَنْوَةً * ومَشَى الهَوَى بين الرَّعِيّةِ مُطْلَقَا (٥)

وأَتَى يُساوِمُ فى (القَناةِ) خَدِيعَةً * ولو أَنّها تَمَّتْ لَتَمَّ بِها الشَّقَا

إن البَلِيَّةَ أَنْ تُباعَ وتُشْتَرَى * (مِصْرٌ) وما فيها وألّا تَنْطِقَا (٦)

كانَتْ تُواسِينا على آلامِنا * صُحُفٌ إذا نَزَلَ البَلاءُ وأَطْبَقَا (٧)

فاذا دَعَوْتُ الدمْعَ فاستَعْصَى بَكَتْ * عنّا أَسًى حتّى تَغَصَّ وتَشْرَقَا

كانَتْ لنا يومَ الشدائِدِ أَسْهُمًا * نَرْمِى بها وسَوابِقًا يومَ اللِّقَا (٨)

---

(١) يقال : أدال الله لك من فلان : اذا جعل الكرة والنصر لك عليه . وأخفق فى السعى : لم ينجح فيه . (٢) الضمير فى «أمسى» : لعبد الحميد . والفيلق : الجيش العظيم . (٣) رمى : الضمير فيها يعود على الهلال . وأرض الكنانة : مصر . وأرهق : أنزل على أهلها العسر والظلم والطغيان .

(٤) المناجل : جمع منجل ، وهو آلة يحصد بها الزرع ، معروفة . (٥) يشير إلى تنفيذ قانون المطبوعات الذى عمل به فى عهد وزارة بطرس غالى باشا ، فقيد حرية الرأى والكتابة فى الصحف . والعنوة : القهر . ويريد «بالهوى» : الحكم بما يشتهيه الحاكم ، لا بما يقتضيه العدل . ومطلقا ، أى لا قيد عليه .

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى ما حدث فى عهد نظارة بطرس غالى باشا من أن شركة قناة السويس كانت قد عرضت على الحكومة المصرية مد أجل امتيازها أربعين سنة أخرى تبتدئ من سنة ١٩٦٩ م الى نهاية سنة ٢٠٠٨ م وأبت ذلك الجمعية العمومية بإجماع أعضائها محتجة بأن فى ذلك غبنا فاحشا قدّر بمبلغ ١٣٠٫٥٩٨٫٠٠٠ جنيها ، وكان ذلك فى ٧ أبريل سنة ١٩١٠ م ، وكان رأى الجمعية العمومية فى هذه المسألة قطعيا لا استشاريا . (٧) أطبق عليهم البلاء : غشيهم وغطاهم .

(٨) السوابق : من صفات الخيل ، أى إن الصحف كانت عدّة لنا فى الجهاد .

كانتْ صِماماً للنُّفُوسِ إذا غَلَتْ * فيها الهُمومُ وأَوْشَكتْ أن تَزْهَقَا

كم نَفَّسَتْ عَنْ صَدْرِ حُرٍّ واجِدٍ * لولا الصِّمامُ مِنَ الأَسَى لَتَمَزَّقا (١)

مالى أَنُوحُ على الصَّحافَةِ جازِعًا * ما ذا أَلَمَّ بها وماذَا أَحْدَقا؟ (٢)

قَصُّوا حَواشِيَها وظَنُّوا أنَّهمْ * أَمِنُوا صَواعِقَها فكانَتْ أَصْعَقا

وأَتَوْا بحاذِقِهِمْ يَكِيدُ لها بِمَا * يَثْنِى عَزائِمَها فكانتْ أَحْذَقا (٣)

أَهْلًا بنابِتَةِ البِلادِ ومَرْحَبًا * جَدَّدْتُمُ العَهْدَ الَّذى قد أَخْلَقا (٤)

لا تَيْأَسُوا أَنْ تَسْتَرِدُّوا مَجْدَكُمْ * فَلَرُبَّ مَغْلُوبٍ هَوَى ثم ارْتَقَى

مَدَّتْ له الآمالُ مِنْ أَفْلاكِها * خَيْطَ الرَّجاءِ إلى العُلا فتَسَلَّقا (٥)

فَتَجَشَّمُوا لِلمَجْدِ كلَّ عَظِيمَةٍ * إنِّى رأَيْتُ المَجْدَ صَعْبَ المُرْتَقَى (٦)

مَنْ رامَ وَصْلَ الشمسِ حاكَ خُيُوطَها * سَبَبًا إلى آمالِه وتَعَلَّقا (٧)

عارٌ على ابنِ النِّيلِ سَبَّاقِ الوَرَى * ـ مَهْمَا تَقَلَّبَ دَهْرُه ـ أنْ يُسْبَقا

أَوَكلَّما قالوا تَجَمَّعَ شَمْلُهُمْ * لَعِبَ الشِّقاقُ بجَمْعِنا فتَفَرَّقا (٨)

---

(١) نفست : خففت . والواجد : الحزين . والأسى (بفتح الهمزة) : الحزن . و«من الأسى» متعلق بقوله «لتمزقا» .

(٢) ألم : نزل . وأحدق : أحاط .

(٣) يريد «بحاذقهم» : بطرس غالى باشا رئيس النظار إذ ذاك . ويريد بقوله «فكانت أحذقا» : أنها كانت تؤدى عملها فى نقد الحكومة بمهارة ومداورة حتى لا تؤاخذ .

(٤) نابتة البلاد : فتيانها وشبانها . وأخلق : بلى ورث .

(٥) تسلق : صعد .

(٦) تجشموا : تكلفوا .

(٧) حاك : نسج . والسبب : الحبل . يقول : إن من يريد أن يبلغ معالى الأمور تلمس الوسائل لها مهما بدا من ضعفها أو استحالتها .

(٨) الشقاق : الخلاف والعداوة .

فتدفقوا حُجَجًا وحُوطُوا نِيلَكُمْ * فلكَمْ أفاضَ عليكُمُ وتدفقا (١)

حَمَلُوا علينا بالزمانِ وصَرْفِه * فتأنقوا فى سَلْبِنا وتأنقا (٢)

هَزُّوا مغاربَها فهابتْ بأسَهُمْ * يا وَيْلَكُمْ إنْ لَمْ تهُزُّوا المَشْرِقا (٣)

فتعلَّمُوا فالعِلْمُ مِفتاحُ العُلا * لَمْ يُبْقِ باباً للسعادةِ مُغْلَقا

ثمّ استمِدُّوا منه كلَّ قُواكُمُ * إنّ القَوىَّ بكلِّ أرْضٍ يُتَّقَى

وابْنُوا حوالَىْ حَوْضِكُمْ مِنْ يَقْظَةٍ * سُورًا وخُطُّوا مِنْ حِذارٍ خَنْدَقا (٤)

وزِنُوا الكلامَ وسَدِّدُوهُ فإنّهمْ * خَبَأُوا لكمْ فى كلِّ حَرْفٍ مَزْلَقا (٥)

وامْشُوا على حَذَرٍ فإنّ طَرِيقَكُمْ * وَعْرٌ أطافَ به الهلاكُ وحلَّقا (٦)

نَصَبُوا لكمْ فيه الفِخاخَ وأرْصَدُوا * للسّالِكين بكلِّ فَجٍّ مَوْبِقا (٧)

الموتُ فى غِشْيانِه وطُرُوقِه * والموتُ كلُّ الموتِ ألّا يُطْرَقا (٨)

فتحيَّنُوا فُرَصَ الحياةِ كثيرةً * وتعجَّلُوها بالعزائمِ والرُّقَى (٩)

---

(١) حاطه : صانه وحفظه . (٢) حملوا علينا بالزمان ، أى حاربنا المحتلون بحوادث الزمان ونوائبه . وتأنق فى الأمر : بالغ فيه . (٣) يقول : إن للإنجليز من الحول والقوة ما أرهبوا به دول الغرب ، فليكن لكم أيها المصريون بين أمم الشرق ما للإنجليز بين أمم الغرب . (٤) المراد (بالحوض) هنا : الحمى . (٥) المزلق : مكان الانزلاق ، أى الزلل والسقوط .

(٦) الوعر : الصعب . وحلق : ارتفع . يريد أن الهلاك قد غشى طريقكم من كل مكان .

(٧) الفج : الطريق . والموبق : المهلك . (٨) يريد أن طريق الأمة الى المجد والحرية مملوء بأسباب الهلاك ، على أن ما نحن فيه من استنامة ودعة ورضى بالاستعباد والذل موت أكبر ، ففى الإقدام موت ، وفى الإحجام موت أعظم ، فتحينوا الفرص ، وهو ما يقوله فى البيت الآتى .

(٩) تعجل الأمر : طلبه عاجلا . والرقى : جمع رقية ، وهى معروفة . ويريد « بالعزائم والرقى » هنا : قوة الدهاء والتلطف فى الحيلة ، وحسن التأتى إلى المقاصد .

أَو فاخلُقُوها قادِرِينَ فإنَّما * فُرَصُ الحَياةِ خَلِيقَةٌ أنْ تُخْلَقا

وتفيَّئُوا ظِلَّ الأَرِيكَةِ وٱقصِدُوا (١) * مَلِكًا بأمَّتِه أَبَرَّ وأَرْفَقا

لا زالَ تاجُ المُلْكِ فوقَ جَبِينِه (٢) * تَحتَ الهِلالِ يَزِينُ ذاكَ المَفْرِقا

تحية الأسطول العثمانى

أنشدها فى حفل أقيم بتياترو عباس فى ٩ مارس سنة ١٩١٠ م برآسة رءوف باشا المعتمد العثمانى

بالّذى أَجْراكِ يا رِيحَ الحُزامَى (٣) * بَلِّغِى البُسْفُورَ عن مِصْرَ السَّلاما

وٱقطِفِى مِنْ كلِّ رَوْضٍ زَهْرَةً (٤) * وٱجعَلِيها لتَحايانا كِماما

وٱنْثُرِى رَيّاكِ فى ذاكَ الحِمَى (٥) * والثِمِى الأَرْضَ إذا جِئْتِ الإماما

مَلِكٌ للشَّرْقِ فى أيّامِه * هِمّةُ الغَرْبِ نُهوضًا وٱعتزاما

أَيُّها القائمُ بالأَمْرِ لقد * قُمْتَ فى النّاسِ فأَحْسَنْتَ القِياما

جَرِّدِ الرأىَ فكَمْ رَأْيٍ إذا (٦) * سُلَّ مِنْ غِمْدِ النُّهَى فَلَّ الحُساما

---

(١) تفيئوا ظل الأريكة، يطلب إليهم أن يلتجئوا إليها و يستظلوا بها . والأريكة : سرير الملك .

(٢) مفرق الرأس : وسطه ، وهو حيث يفرق فيه الشعر .

(٣) الخزامى : نبات عطرى زهره من أطيب الأزهار نفحة ؛ وهذا النبات يقارب البنفسج ، و زهره إلى الزرقة واللازوردية . (٤) الكمام : أغطية الزهر ؛ الواحد كم (بكسر الكاف وتشديد الميم) . يقول : حوطى تحايانا بأزهار الرياض . ويشير بذلك إلى أن التحايا التى يبعث بها إلى البسفور أذكى من الأزهار وريحا ، لأن الأزهار أذكى من أكمامها وأطيب نفحة . (٥) الريا : الرائحة الطيبة . ويريد «بالإمام» : خليفة المسلمين . (٦) النهى : العقول ؛ الواحد نهية . وفل الحسام : ثلمه وكسره .

وابعث الأسطول ترمي دونه * قوة الله وراءً وأماما

(١)
يكلأ الشرق ويرعى بقعة * رفع الله بها (البيت الحراما)

(٢)
وثغورًا هي أبهى منظرًا * من ثغور الغيد يبدين ابتساما

(٣)
خصها الله بأفق مشرق * ضم في اللألاء (مصرًا) و (الشاما)

(٤)
حيّ يا مشرق أسطول الألى * ضربوا الدهر بسوط فاستقاما

ملكوا البر فلما لم يسع * مجدهم نالوا من البحر المراما

(٥)
بجوار منشآت كالدمى * أينما سارت صبا البحر وهاما

(٦)
كلما أوفت على أمواجه * سجد الموج خشوعًا واحتشاما

(٧)
كان بالبحر اليها ظمأ * وعجيب يشتكي البحر الأواما

(٨)
فهي في السلم جوار تجتلى * تبهر العين رواءً ونظاما

(٩)
وهي في الحرب قضاء سابح * يدع الحصن تلالًا ورجاما

---

(١) يكلأ الشرق : يحفظه ويصونه . ويريد «بالبقعة» : الحجاز . (٢) الغيد : جمع غادة ، وهي المرأة اللينة الناعمة . (٣) اللألاء : الضياء .

(٤) «ضربوا الدهر ... الخ» : يريد أنهم أخضعوه لسطوتهم وعزهم فاستقام لهم .

(٥) الجواري المنشآت : السفن . والدمى : جمع دمية ، وهي الصورة المنقشة المزينة . شبه السفن بها في جمالها .

(٦) أوفت : أشرفت . والاحتشام : الحياء .

(٧) الأوام : شدة العطش .

(٨) تجتلى : ينظر اليها الناس معجبين بحسنها ورونقها . والرواء (بضم الراء) : حسن المنظر .

(٩) الرجام : الحجارة ، الواحد رجمة (بضم الراء وسكون الجيم) .

ما نُجُومُ الرَّجْمِ مِنْ أَبْراجِها * إثْرَ عِفْرِيتٍ مِنَ الجِنِّ تَرامَى (١)

مِنْ مَرامِيها بأنْكَى مَوْقِعًا * لَا ولَا أَقْوَى مِراسًا وعُرَاما (٢)

وهِيَ بُرْكانٌ اذا ما هَاجَها * هائِجُ الشَّرِّ عِداءً وخِصاما

جَبَلَ النارِ لقد رُعْتَ الوَرَى * أَنْتَ فى حالَيْكَ لا تَرْعَى ذِماما (٣)

أنتَ فى البَرِّ بَلاءٌ فإذا * رَكِبَ البَحْرَ غَدَا مَوْتًا زُؤاما (٤)

فاتَّقُوا الطَّوْدَ مَكِينًا راسِيًا * واتَّقُوا الطَّوْدَ اذا ما الطَّوْدُ عاما (٥)

حَمَلَتْ حَرْبًا فكانَتْ حِقْبَةً * نُذُرًا للمَوْتِ تَجْتاحُ الأَنَاما (٦)

خافَها العالَمُ حتّى أَصْبَحَتْ * رُسُلًا تَحْمِلُ أَمْنًا وسَلاما (٧)

بُعِثَ المَشْرِقُ مِنْ مَرْقَدِهِ * بعدَ حِينٍ ، جَلَّ مَنْ يُحْيِي العِظاما

أيُّها الشَّرْقُ شَمِّرْ لا تَنَمْ * وانْفُضِ العَجْزَ فإنّ الجِدَّ قاما

---

(١) ترامى ، أى تترامى وتتساقط . ويشير الى أن الجن كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يسترقون السمع من السماء ، فلما بعث صلى الله عليه وسلم صار يرجم بالشهب كل من يريد منهم الدنو من السماء واسترَاق السمع ، وقد حكى الله تعالى ذلك فى القرآن فى سورة الجن . (٢) أنكى : خبر «لما» فى قوله السابق : «ما نجوم» . والعرام : الشراسة والأذى والحدّة . يريد أن الشهب التى يرجم بها الجن المسترقون السمع من السماء ليست أشدّ وقعا ولا أنكى عذابا من قذائف هذه السفن فى الحرب .

(٣) رعت : أفزعت . والذمام : الحرمة والعهد . (٤) يشير بقوله «أنت فى البر» : الى البراكين المعروفة . وبقوله « فاذا ركب البحر » : إلى الأسطول ، تشبيها له بالبراكين . جعل للبركان مظهرين : مظهره الحقيق فى البر ، ومظهره المجازى فى الأسطول . (٥) الطود : الجبل العظيم . (٦) الحقبة من الدهر : مدة لاحدّ لها . وتجتاح الأنام : تهلكهم .

(٧) يريد بهذا البيت والذى قبله : أن هذه السفن خدمت الحرب والسلم معا ، فكانت فى الحرب رسل موت تحصد الأرواح ، وهى لقوتها وكمال استعدادها أخافت الأعداء فتجنبوا حربها ، فكانت مبعث سلم أيضا .

وامتطِ العَزْمَ جواداً لِلعُلَا * وٱجعَلِ الحِكْمَةَ للعَزْمِ زِمَاما (١)

وإذا حاوَلْتَ فى الأُفْقِ مُنًى * فٱرْكَبِ البَرْقَ ولا تَرْضَ الغَمَامَا (٢)

لا تَضِقْ ذَرْعًا بما قال العِدا * رُبَّ ذى لُبٍّ عن الحَقِّ تَعامَى

سابِقِ الغَرْبِيَّ وٱسبِقْ واعتَصِمْ * بالمُروءاتِ وبالبَأْسِ ٱعتِصاما

جانِبِ الأَطْماعَ وانْهَجْ نَهْجَه * وٱجعَلِ الرَّحْمَةَ والتَّقْوَى لِزاما

طَالَبُوا مِنْ عِلْمِهِمْ أَنْ يُعْجِزُوا * قادِرَ المَوْتِ وأَنْ يَثْنُوا الحِماما (٣)

وأَرادُوا منه أَنْ يَرْفَعَهُمْ * فوقَ هامِ الشُّهْبِ فى الغَيْبِ مَقاما (٤)

(قُتِلَ الإنْسَانُ ما أَكْفَرَهُ) * طاوَلَ الخالِقَ فى الكَوْنِ وسامَى (٥)

أَحْرَجَ الغَيْبَ إلى أَنْ بَزَّهُ * سِرُّه بَزًّا ولَمْ يَخْشَ ٱنتِقاما (٦)

قُوَّةَ الرَّحْمٰنِ زِيدِينَا قُوًى * وأَفِيضِى فى بَنِى الشَّرْقِ الوِئاما

أَفْرِغِى مِنْ كُلِّ صَدْرٍ حِقْدَهُ * أَمْلِإِ التارِيخَ والدُّنْيا كَلاما

أَسأَلُ اللهَ الذى أَلْهَمَنا * خِدْمَةَ الأَوْطانِ شَيْخًا وغُلاما

أَنْ أَرَى فى البَحْرِ والبَرِّ لنا * فى الوَغَى أَندادَ (طُوجُو) و(أُيَاما) (٧)

---

(١) الزمام : ما تقاد به الدابة . (٢) يريد « بركوب البرق » : شدة السرعة ، لأن بطء الغمام لا يصلح مطية للجدّ . (٣) قادر الموت : مقدّره ، وهو الله تعالى .

(٤) الهام : الرءوس . الواحدة هامة . والشهب : النجوم . (٥) طاول : غالب . وساماه مساماة : باراه فى السمو . (٦) بزه : سلبه . (٧) الوغى : الحرب . والأنداد : الأشباه . وطوجو وأياما : قائدان يابانيان معروفان .

حرب طرابلس (١)

[فى سنة ١٩١٢م]

طَمَعٌ أَلْقَى عنِ الغَرْبِ اللِّثَاما * فاستَفِقْ يا شَرْقُ وٱحذَرْ أنْ تَنَاما (٢)

وٱحمِلِي أيَّتُها الشمسُ إلى * كلَّ مَنْ يَسْكُنُ فى الشَّرقِ السَّلاما

وٱشهَدِى يومَ التَّنادِى أنَّنا * فى سَبِيلِ الحَقِّ قد مِتْنا كِراما (٣)

مادَتِ الأَرْضُ بِنا حِينَ انتَشَتْ * مِنْ دَمِ القَتْلَى حَلالًا وحَرَاما (٤)

عَجَزَ الطُّلْيانُ عَنْ أبطالِنا * فأَعَلُّوا مِنْ ذَرارِينا الحُسَاما (٥)

كَبَّلُوهُمْ، قَتَلُوهُمْ، مَثَّلُوا * بذَوَاتِ الخِدْرِ، طاحُوا بالِيَتامَى (٦)

ذَبَحُوا الأَشْياخَ والزُّمْنَى ولَمْ * يَرْحَمُوا طِفْلًا ولَمْ يُبْقُوا غُلاما (٧)

أَحْرَقُوا الدُّورَ، ٱستَحَلُّوا كلَّ ما * حَرَّمَتْ (لاهايُ) فى العَهْدِ ٱحتِراما (٨)

بارَكَ المَطْرانُ فى أَعْمالِهِمْ * فسَلُوه بارَكَ القَوْمَ عَلاما؟ (٩)

---

(١) ترجع أطماع إيطاليا فى طرابلس منذ بدأت أوربا تمشط فى اقتسام افريقيا . ولما رأت إيطاليا أن إنجلترا وفرنسا صارتا صاحبتى النفوذ فى مصر وتونس ، قويت أطماعها فى طرابلس . ولم تأت سنة ١٩١٢م حتى أغارت إيطاليا على طرابلس تريد انتزاعها من تركيا ، وفى هذه الحرب يقول الشاعر قصيدته .

(٢) اللثام (بالكسر) : النقاب . أى إن أمم الغرب قد كشفوا عما يضمرون للشرق من اقتسامه بينهم . (٣) يوم التنادى : يوم القيامة . (٤) مادت الأرض : اضطربت . وانتشت : سكرت . (٥) أعلوا ، أى سقوا . وأصل الإعلال : السق بعد السق . (٦) طاح به : ذهب به وأهلكه . (٧) الزمنى : ذوو العاهات ؛ الواحد : زمن (بفتح الأول وكسر الثانى) .

(٨) يشير الى مؤتمر لاهاى الذى عقد فى سنة ١٨٩٩م بدعوة من نقولا الثانى قيصر روسيا للقضاء على أسباب الحرب ، بتقليل السلاح ، وتفويض المشاكل التى تقع بين الدول الى هيئة تحكيم يختار أعضاؤها من بين الدول . (٩) المطران (بالفتح وبكسر) : رئيس الكهنة ، وهو دون البطرق وفوق الأسقف .

أهذا جاءهم إنجيلهم * أمرًا يُلقِى على الأرض سلاما؟

كشفوا عن نيّة الغرب لنا * وجلَوْا عن أفق الشّرق الظّلاما

فقرأناها سُطورا من دم * أقسمت تلتهم الشّرق التهاما

أطلقوا الأسطول فى البحر كما (١) * يُطلِق الرّاجل فى الجوّ الحماما

فمضى غير بعيد وانثنى * يحمل الأنباء شُؤمًا وانهزاما

قد ملأنا البرّ من أشلائهم (٢) * فدعوهم يملئوا الدّنيا كلاما

أعلنوا الحرب واضمرنا لهم (٣) * أيّما حلّوا هلاكًا واحتراما

خبّروا (فكتور) (٤) عنا أنّه * أدهش العالم حربًا ونظاما

أدهش العالم لمّا أن رأوا * جيشه يسبق فى الجرى النّعاما

لم يقف فى البرّ إلّا ريثما * يُسلِم الأرواح أو يُلقِى الزّماما

حاتم الطّليان قد قلّدتنا (٥) * منّة نذكرها عامًا فعاما

أنت أهديت إلينا عُدّة * ولباسًا وشرابًا وطعاما

وسلاحًا كان فى أيديكم (٦) * ذا كلالٍ فغدا يفرى العظاما

(١) الراجل : الذى يرسل الحمام .

(٢) الأشلاء : الأعضاء وبقايا الأجساد ؛ الواحد شلو .

(٣) احترم القوم : استأصلهم . (٤) فكتور عمانوئيل ، هو ملك إيطاليا .

(٥) شبه ملك الطليان فيما تخلى عنه جيشه للأتراك فى هذه الحرب من الأشياء المذكورة بعد بحاتم الطائى الذى يضرب به المثل فى الكرم ، ولا يخفى ما فى هذا من التهكم .

(٦) كل السيف كلالا : لم يقطع . ويفرى : يشق .

أكثِرُوا النُّزْهَـةَ فى أحيائِنـا * ورُبانا إنّهـا تَشْـفِى السَّـقامَا

وأقِيمُـوا كلَّ عامٍ مَوْسِمًـا * يُشْبِـعُ الأيْتـامَ مِنّـا والأيامَى (١)

لستُ أدْرِى بِتَّ تَرْعَى أمَـةً * مِنْ بَنِى (التَّلْيـانِ) أمْ تَرْعَى سَوامَا (٢)

ما لهُمْ — والنَّصْرُ مِنْ عاداتِهِمْ — * لَزِمُوا السـاحِلَ خَوْفًا واعْتِصامَا

أفْلَتُـوا مِنْ نارِ (فِـيزُوفَ) إلى * نارِ حَرْبٍ لم تَكُنْ أدْنَى ضِرامَا (٣)

لم يَكُنْ (فِـيزُوفُ) أدْهَى حُمَمًا * مِنْ كُراتٍ تَنْفُثُ المـوتَ الزُّؤامَا (٤)

إيهِ يا (فِيزُوفُ) نَمْ عنهمْ فقـد * نَفَضَتْ إفْـرِيقيَـا عنهـا المَنامَا

فهْىَ بُرْكانٌ لهـمْ سَخَّـرَهُ * مالِكُ المُـلْكِ جَـزاءً واتِّقـامَا

لو دَرَوْا ما خَبَـأَ الشَّرقُ لهـمْ * آثَرُوا (فِيزُوفَ) واخْتارُوا المُقامَا

تِـلْكَ عُقْـبَى أُمَّـةٍ غادِرَةٍ * تَنْكُثُ العَهْـدَ ولا تَرْعَى الذِّماما (٥)

تِلْكَ عُقْبَى كلِّ جَبّـارٍ طَغَى * أو تَعـالَى أو عَـنِ الحَقِّ تَعامَى

لَو دَرَتْ (رُومَةُ) ما قَـدْ نابَهـا * فى (طَرابُلُسَ) أبَتْ إلّا انْقِسـامَا

وأبَى كلُّ اشْـتِراكِىٍّ بهـا * أنْ يَرَى التـاجَ عـلى رَأْسٍ أقامَا

أعْلَنُـوا ضَـمَّ مَغانِينَـا إلى * مُلْكِ (فِكْتُورَ) ولَمْ يَخْشَوْا مَلامَا (٦)

---

(١) الأيامى : جمع أيم (بتشديد الياء)، وهى من لا زوج لها . (٢) السوام : الإبل الراعية .

(٣) فيزوف : بركان فى جنوبى إيطاليا معروف . (٤) الحمم : جمع حممة، وهى كل ما احترق من النار . يريد ما يقذفه بركان فيزوف . ويريد «بالكرات» : قذائف المدافع . والزؤام : الكريه .

(٥) الذمام : الحق والحرمة . (٦) المغانى : المنازل؛ الواحد مغنى (بفتح فسكون) .

أَعْلَنُوا الضَّمَّ ولمَّا يَفْتَحُوا * قِيدَ أُظْفُورٍ وَرَاءً أو أَمَامَا (١)

فَأَعْجَبُوا مِنْ فاتِحٍ ذِى مِرَّةٍ * يَحْسَبُ النُّزْهَةَ فى البَحْرِ صِداما (٢)

ويَرَى الفَتْحَ ٱدِّعاءً باطِلًا * وٱفْتِراءً وٱحْتِجاجًا وٱحْتِكاما

أيُّها الحائِرُ فى البَحْرِ ٱقْتَرِبْ * مِنْ حِمَى (البُسْفُورِ) إنْ كنتَ هُماما

كم سَمِعْنا عَنْ لِسانِ البَرْقِ ما * يُزْعِجُ الدُّنْيا إذَا الأُسْطُولُ عاما

عامَ شَهْرَيْنِ ولَمْ يَفْتَحْ سِوَى * هُوَّةٍ فيها المَلايِينُ تَرَامَى (٣)

دَفَنُوا تارِيخَهُمْ فى قَاعِها * ورَمَوْا فى إثْرِهِ المجدَ غُلاما

فاطْمَئِنِّى أُمَمَ الشَّرْقِ ولا * تَقْنَطِى اليومَ فإنّ الجَدَّ قاما (٤)

إنّ فى أَضْلاعِنا أفئدةً * تَعْشَقُ المجدَ وتَأْبَى أنْ تُضاما (٥)

منظومة تمثيليّة

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطليانى لمدينة بيروت انتقاما من الأتراك؛ وذلك فى عهد نشوب الحرب الطرابلسية التى وقعت بين الإيطاليين والترك فى سنة ١٩١٢م. وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت، وزوج له اسمها (ليلى)، وطبيب، ورجل عربى

الجريح:

(لَيْلاىَ) ما أنا حَيٌّ * يُرْجَى ولا أنا مَيْتُ

لَمْ أَقْضِ حَقَّ بِلادِى * وهَأَنَا قَدْ قَضَيْتُ (٦)

---

(١) قيد أظفور (بفتح القاف وكسرها)، أى مقدار ظفر. (٢) المرة (بالكسر): القوة والشدة.
(٣) ترامى: تترامى. (٤) الجد (بالفتح): الحظ. والمراد «بقيامه»: انتعاشه.
(٥) تضام: تظلم. (٦) قضيت: مت.

شَفَيْتُ نَفْسِي لَوَ انِّى * لَمَّا رُمِيتُ رَمَيْتُ

(بَيْرُوتُ) لو أنّ خَصْمًا * مَشَى إلىَّ مَشَيْتُ

أو داسَ أَرْضَكِ باغٍ * لَدُسْتُه وبَغَيْتُ

أَو حَلَّ فيكِ عَدُوٌّ * مُنازِلٌ ما أَتَّقَيْتُ

لكنْ رَماكِ جَبانٌ * لو بان لى لأَشْتَفَيْتُ (١)

(لَيْلاىَ) لاتَحْسَبِينى * على الحياةِ بَكَيْتُ

ولا تَظُنِّى شَكاتِى * مِنْ مَصْرَعى إنْ شَكَوْتُ (٢)

ولا يُخِيفَنْكِ ذِكْرِى * (بَيْرُوتَ) أَنّى سَلَوْتُ (٣)

(بَيْرُوتُ) مَهْدُ غَرامِى * فيها وفيكِ صَبَوْتُ (٤)

جَرَرْتُ ذَيْلَ شَبابى * لَهْوًا وفيها جَرَيْتُ

فيها عَرَفْتُكِ طِفْلًا * ومِنْ هَواكِ أَنْتَشَيْتُ (٥)

ومِنْ عُيونِ رُباها * وعَذْبِ فِيكِ أَرْتَوَيْتُ (٦)

فيها (لِلَيْلَى) كِناسٌ * ولِى مِنَ العِزِّ بَيْتُ (٧)

---

(١) اشتفى : أخذ بثأره فشفى بذلك نفسه . (٢) الشكاة : الشكوى .

(٣) أى لاتخشى يالياى من سلوتى إياك حينما أذكر بيروت ، فكلاكما فى الحب عندى سواء ، كما يتبين ذلك من الأبيات الآتية .

(٤) صبا : مال . أى إن شوقى وغرامى وميلى فيك وفيها .

(٥) انتشى : سكر . (٦) الربا : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة ربوة . وعذب فيك ، أى ريقك العذب .

(٧) الكناس : بيت الظبى الذى يأوى إليه .

obeikandi.com

فيها بَنَى لىَ مَجْدًا * أوائلِى وبَنَيْتُ

(لَيْلَى) سِراجُ حَياتِي[1] * خَبَا فما فيه زَيْتُ

قد أَطْفَأَتْهُ كُرَاتٌ[2] * ما مِنْ لَظاهُنَّ فَوْتُ

رَمَى بهنَّ بُغَاةٌ[3] * أَصَبْنَنِي فَتَوَيْتُ

ليلى :

لو تُفْتَدَى بحَياتى * مِنَ الرَّدَى لَفَدَيْتُ

ولو وَقاكَ وَفِىٌّ * بمُهْجَةٍ لَوَقَيْتُ

إنْ عِشْتَ أو مِتَّ إنِّى * كما نَوَيْتَ نَوَيْتُ[4]

الجريح :

(لَيْلاىَ) عِيشِى وقَرِّى * إذَا الحِمامُ دَعانِى

(ليلاىَ) ساعاتُ عُمْرِى * مَعْدُودةٌ بالثَّوانِى

فكَفْكِفِى مِنْ دُمُوعٍ * تَفْرِى حُشاشَةَ فانِى[5]

ومَهِّدِى لىَ قَبْرًا * على ذُرا (لُبْنانِ)

ثم اكْتُبِى فوقَ لَوْحٍ * لكلِّ قاصٍ ودانِى:

---

(١) حيا : محمد وطفى . (٢) يريد « بالكرات » : قذائف المدافع المعروفة بالقنابل . واللظى : النار، أو لهبها . والفوت : الانفلات . (٣) تويت : أى هلكت . (٤) كما تويت تويت ، أى أنى جعلت حياتى وموتى تبعا لحياتك وموتك . (٥) تفرى : تقطع . والحشاشة : بقية الروح فى المريض .

هُنا الّذى مات غَدْرًا * هُنا فَتَى الفِتْيانِ
رَمَتْهُ أَيْدِى جُناةٍ * مِنْ جِيرَةِ النِّيرانِ (١)
قُرْصانُ بَحْرٍ تَوَلَّوا * مِنْ حَوْمَةِ المَيْدانِ (٢)
لَمْ يَخْرُجوا قِيدَ شِبْرٍ * عَنْ مَسْبَحِ الحِيتانِ
ولَمْ يُطِيقُوا ثَباتًا * فِى أَوْجُهِ الفُرْسانِ
فَشَمَّرُوا لانتِقامٍ * مِنْ غافِلٍ فى أَمانِ
وسَوَّدُوا وَجْهَ (رُومًا) * بالكَيْدِ لِلجِيرانِ
تَبًّا لَهُمْ مِنْ بُغاثٍ * فَرُّوا مِنَ العِقْبانِ (٣)
لَوْ أَنَّهُمْ نازَلُونَا * فى الشّامِ يومَ طِعانِ
رَأَوْا طَرابُلُسَ تَبْدُو * لَهُمْ بِكُلِّ مَكانِ
يا لَيْتَنِى لَمْ أُعاجِلْ * بالمَوتِ قَبْلَ الأَوانِ
حتّى أَرَى الشَّرْقَ يَسْمُو * رَغْمَ اعتِداءِ الزَّمانِ
ويَسْتَرِدُّ جَلالًا * له ورِفْعَةَ شانِ
ولْيَعْلَمَ الغَرْبُ أَنّا * كَأُمَّةِ (اليابانِ)

(١) يريد « بجيرة النيران » : الإيطاليين ، لوجود البراكين فى بلادهم .
(٢) قرصان البحر : لصوصه . وحومة الميدان : موضع القتال . يريد ميدان طرابلس .
(٣) البغاث : طيور يضرب بها المثل فى الضعف . والعقبان : جمع عقاب ، وهو من الطيور الجوارح ، والعرب تسميه (الكاسر) .

obeikandl.com

لا نَرْتَضِى العَيْشَ يَجْرِى * فى ذِلّةٍ وهَوانِ

أَرَاهُمُ أَنْزَلُونا * مَنازِلَ الحَيوانِ

وأَخْرَجُونا جَمِيعًا * عَنْ رُتْبَةِ الإنْسانِ

وسَوْفَ تَقْضِى عليهم * طَبائِعُ العُمْرانِ (١)

فيُصْبِحُ الشَّرْقُ غَرْبًا * ويَسْتَوِى الخافِقانِ (٢)

لاهُمَّ جَدِّدْ قُوانا * لِخِدْمَةِ الأَوْطانِ (٣)

فنَحْنُ فى كلِّ صُقْعٍ * نَشْكُو بكلِّ لِسانِ (٤)

يا قومَ إنجيلِ (عِيسَى) * وأُمّةَ القُرآنِ

لا تَقْتُلوا الدهرَ حِقْدًا * فالمُلْكُ للدَّيّانِ

ليلى :

إنِّى أَرَى مِنْ بَعِيدٍ * جَماعَةً مُقْبِلِينَا

لَعَلَّ فيهِمْ نَصِيرًا * لَعَلَّ فيهِمْ مُعِينا

العربىّ :

هَوِّنْ عليكَ، تَماسَكْ * إنِّى سَمِعْتُ أَنِينا (٥)

أَظُنُّ هٰذَا جَرِيحًا * يَشْكُو الأَسَى أَوْ طَعِينا

باللهِ ماذا دَهاهُ * يا هٰذه خَبِّرِينا؟

(١) يريد « بطابع العمران » : سنه فى الترقى من حسن إلى أحسن ، كما يدل عليه البيت الآتى .
(٢) الخافقان : المشرق والمغرب . (٣) لاهم ، أى اللهم .
(٤) الصقع (بالضم) : الناحية ، والجمع أصقاع . (٥) تماسك : تمالك .

ليـــلى :

لقـد دَهَتْـهُ المَنـايا * مِنْ غارَة الخائِنِينَـا

صَبُّوا علينـا الرَّزايا * لَمْ يَتَّقُـوا اللهَ فِينـا

خَفِّفُـوا مِنْ أَذاهُ * إنْ كُنـتُمُ فاعِلِينـا

العـــربىّ :

لا تَيْـأسِى، وتَجَـلَّدْ * أُراكَ شَـهْمًا رَكِينـا (١)

أَبْشِـــرْ فإنكَ ناجٍ * واصْـبِرْ مع الصّابِرِينا

الطبيب :

أوّاه إنِّى أَراهُ * بالموت أَمْسَى رَهِينـا

جِراحُـــه بالِغـاتٌ * تُعْيِي الطَّبِيبَ الفَطِينـا

وعَنْ قَرِيبٍ سيَقْضِى * غَضَّ الشَّبابِ حَزِينـا (٢)

العـــربى :

أُفٌّ لقَـــوْمٍ جِيـاعٍ * قـد أَزْعَجُـوا العالَمِينَـا

قِـراهُمُ أين حَلُّوا * ضَرْبٌ يَقُـدُّ المُتُـونا (٣)

عَفُّـوا المُروءَةَ هَـدُّوا * مَفاخِـــرَ الأَوَّلِينـا

عاثُوا فَسـادًا وفَـرُّوا * يَسْـتَعْجِلُونَ السَّـفِينـا (٤)

---

(١) الركين : الرزين . (٢) يقضى يموت . (٣) القـرى : ما يقدّم للضيف . ويقـدّ : يقطع . والمتون : الظهور ؛ الواحد : متن . (٤) السفين : السفن ؛ الواحدة سفينة .

obeikandi.com

وأَلْبَسُوا الغَرْبَ خِزْيًا * فى قَرْنِه العِشْرِينَا

وأَلْجَمُوا كلَّ داعٍ * وأَخْرَجُوا المُصْلِحِينا

فَيَا (أُرُبَّهُ) مَهْلًا * أينَ الّذى تَدَّعِينا

ما ذا تُرِيدِين مِنّا * والداءُ أَمْسَى دَفِينا

أينَ الحَضارَةُ إنّا * بَعَيْشِنا قد رَضِينا

لَمْ نُؤْذِ فى الدَّهْرِ جارًا * ولَمْ نُخاتِلْ خَدِينا (١)

(مَسَرَّةَ) الشامِ إنّا * إخوانُكُمْ ما حَيِينا (٢)

ثِقُوا فإنّا وَثِقْنا * بكُمْ وجِئنا قَطِينا (٣)

إنّا نَرَى فيكِ (عيسَى) * يَدْعو إلى الخَيْرِ فِينا

قَرَّبتَ بينَ قُلوبٍ * قد أَوْشَكَتْ أَن تَبِينا (٤)

فأنتِ فَخْرُ النَّصارَى * وصاحِبُ المُسْلِمِينا

الجريح :

رأيتُ يَأْسَ طَبِيبِي * وهَمْسَه فى فُؤادِى

لا تَنْدُبِنى فإنِّى * أَقْضِى وتَحْيَا بِلادِى

---

(١) لم نخاتل : لم نخادع . والخدين : الصاحب .

(٢) مسرة الشام : مطران كبير لطائفة الروم الأرثوذكس من أسرة مسرة المعروفة ببيروت ، وكان يعنى بالجرحى فى هذه الحادثة .

(٣) القطين : أهل الدار المقيمون بها . يريد أن المسلمين والنصارى أهل وطن واحد فى تلك البلاد .

(٤) تبين : تنفصل .

obeikandl.com

العـــربى :

أَســـتَوْدِعُ اللهَ شَهْمًا * نَدْبًا طَـوِيلَ النِّـجادِ (١)

أَسْـــتَودِعُ اللهَ رُوحًا * كانتْ رَجاءَ البِـــلادِ

فيـا شَهِيـدًا رَمَتْـــهُ * غَدْرًا كُراتُ الأَعادِى

نَمْ هانِئًـا مُطْمَـــئِنًّا * فـــلَمْ تَنَمْ أَحْقَـادِى

فَسَـوْفَ يُرْضِـيكَ ثَأْرٌ * يُذِيبُ قَلْبَ الجَمـادِ

استقبال الطيار العثمانى فتحى بك

نشرت فى سـنة ١٩١٤ م ويلاحظ أن هذه القصـيدة كانت قد أعدت لاستقبال الطيار المذكور، فسقطت به طائرته، ومات قبل إتمام رحلته الى مصر، فرأى حافظ من الوفاء نشر هذه القصيدة بعد موته لتكون له حيا وميتا

أَهْـــلًا بأَوَّلِ مُسْـــلِمٍ * فى المَشْرِقَيْنِ عَـلَا وَطَـارْ

النِّـــيلُ والبُسْـــفُورُ فِيـ * ـكَ تَجـاذَبا ذَيْـلَ الفَخارْ (٢)

يـومَ امْتَطَيْتَ بُراقَـكَ الْـ * ـمَيْمُونَ واجْـتَزْتَ القِفارْ (٣)

تَلْهُـــو وتَعْبَثُ بالـــرِّيَا * ـحِ عـلى المَفـاوِزِ والبِحارْ (٤)

---

(١) الندب : الذى اذا ندب إلى الحاجة خف لقضائها . والنجاد : حمائل السيف . وطول النجاد : كناية عن طول القامة .

(٢) كنى «بالنيل والبسفور» عن مصر وتركيا .

(٣) البراق : الدابة التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج . شبه الشاعر طائرة فتحى بك بها فى سرعتها ويمنها .

(٤) المفاوز : جمع مفازة ، وهى الفلاة الواسعة التى لا ماء فيها .

لو سابَقَتْكَ سَوابِقُ الْـ * ـأفكارِ أَدْرَكَها العِثارْ (١)

حَسَدَتْكَ فى الأُفُقِ البُرُو * قُ وغارَ فى الأرضِ البُخارْ (٢)

تَجْرِى بسابِحَةٍ تَشُقُّ * سَبِيلَها شَقَّ الإزارْ (٣)

وتَكادُ تَقْدَحُ فى الأَثِيـ * ـرِ فَيَسْتَحِيلُ الى شَرارْ

مِثْلَ الشِّهابِ انْقَضَّ فى * آثارِ عِفْرِيتٍ وَثارْ (٤)

فإذا عَلَتْ فكَدَعْوَةِ الْـ * مُضْطَرِّ تَخْتَرِقُ السِّتارْ (٥)

وإذا هَوَتْ فكما هَوَتْ * أُنْثَى العُقابِ على الْهَزارْ (٦)

وتُسِفُّ آوِنَةً وآ * وِنَةً يَحِيدُ بها ازْوِرارْ (٧)

فَيَخالُها الرَّاؤُونَ قد * قَرَّتْ وليس بها قَرارْ

لَعِبَ الجَوادُ أَقَلَّ لَيْـ * ـثًا مِنْ قُضاعَةَ أو نِزارْ (٨)

---

(١) يصفه فى هذا البيت بالسرعة حتى إنه يسبق الفكر فيما يخطر به من خواطر .

(٢) كنى «بالبخار» عن القواطر البخارية .

(٣) يريد بالسابحة : الطائرة ، شبهها بالسفينة السابحة فوق الماء ، وشبه اختراقها للفضاء بشق الثياب .

(٤) شبه الطائرة فى سرعتها بالشهاب الذى كان يرسل على كل من يحاول استراق السمع من الجن .

(٥) شبهها بدعوة المضطر ، لما روى فى الآثار من أنها ليس بينها وبين الله حجاب ، فهى تخترق الآفاق من غير أن يحول بينها وبين الصعود حائل . ويريد «بالستار» : حجاب السماء . (٦) هوت : هبطت . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب الكاسر . والهزار (بالفتح) : عصفور صغير متنوع الصوت ؛ ويقال له : العندليب . (٧) تسف : تدنو من الأرض ؛ يقال : أسف الطائر إذا دنا من الأرض حتى كادت رجلاه تصيبانها . والازورار : الانحراف .

(٨) أقل : حمل . وكنى بقوله : «ليثا من قضاعة أو نزار» عن كون الفارس عربيا . يقول : إن هذه الطائرة تلعب فى سيرها فرحا ونشاطا كما يلعب الجواد بفارسه العربى . وقضاعة ونزار : قبيلتان معروفتان .

أو كاللُّعُوبِ مِن الحَما * ئِمِ فَوْقَ مَلْعَبِهِ اسْتَطارْ

وكأنّها فى الأُفْقِ حِي * نَ يَمِيلُ مِيزانُ النَّهارْ (١)

والشَّمسُ تُلْقِى فَوْقَها * حُلَلَ احْمِرارٍ واصْفِرارْ

مَلِكٌ تُمَثِّلُه لنا (السِّيما) فيأخُذُنا ائْتِهارْ

(فَتْحِى) بِرَبِّكَ ما رَأَيْـ * ـتَ بِذٰلِكَ الفَلَكِ المُدارْ

أَبَلَغْتَ تَسْبِيحَ المَلا * ئِكِ أو دَنَوْتَ مِن السِّرارْ (٢)

أَمْ خِفْتَ تِلك الرَّاصِدا * تِ هُناكَ مِنْ شُهُبٍ وَنارْ (٣)

أرأيتَ سُكّانَ النُّجُو * مِ وأنتَ فى ذاكَ الحِوارْ

أهُناكَ فى (المِرِّيخِ) ما * فى الأرضِ مِن عِلَلِ الشِّجارْ (٤)

أهُناكَ يَسْتَعْدِى الضَّعِيـ * ـفُ على القَوِىِّ فلا يُجارْ (٥)

ما لِابنِ آدمَ زاد فى * غُلَوائِهِ فطَغَى وجارْ (٦)

يالَيْتَ شِعْرِى هل له * فى عالَمِ المَلَكُوتِ ثارْ (٧)

---

(١) ميلان ميزان النهار : كناية عن زوال الشمس عن وسط السماء وميلها الى جهة المغرب .

(٢) السرار (بالكسر) : مصدر سارّه (بتشديد الراء) . ويريد به هنا : مناجاة سكان السماء . يقال : سارّ فلان فلانا يساره : اذا ناجاه وأعلمه بسره . يسأل الطيار هل بلغ بطائرته من العلو إلى حيث يسمع مناجاة الملائكة فى السماء .

(٣) الراصدات : الشهب التى أعدّها الله للجن حين كانت تسترق السمع من السماء ؛ قال تعالى حكاية عن الجن : (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) .

(٤) الشجار : النزاع والخصام .

(٥) يقال : استعديت الأمير على فلان فأعدانى ، أى استعنت به عليه فأعانى وأنصفنى منه .

(٦) الغلواء (وتسكن اللام) : التغالى . والمراد هنا : التغالى فى الأمل والطموح .

(٧) الثار : الثأر ، وسهلت الهمزة للشعر .

أم لاذَ مُعْتَصِمًا بكُرْ * سِيِّ المُهَيْمِنِ واستَجارْ

فاستَلَّ مِنْ قَلْبِ الجَما * دِ الصُّلْبِ أَجْنِحَةً وَطارْ (١)

وتَسَلَّقَ الأَجْواءَ مُمْ * تَطِيًا عَواصِفَها وسارْ

يَرْجُو النَّجاءَ مِن المَظا * لِمِ والمَغارِمِ والدَّمارْ (٢)

يأيُّها الطَّيّارُ طِرْ * فإذا بَلَغتَ مَدَى المَطارْ (٣)

فزُرِ السُّهَا والفَرْقَدَيْـ * ـنِ إذا أُتيحَ لكَ المَزارْ (٤)

وسَلِ النُّجومَ عنِ الحَيا * ةِ ففِي السُّؤالِ لكَ اعتِبارْ

هُمْ يُنْبِئُونَكَ أنَّ كُلَّ * الكائِناتِ إلى بَوارْ (٥)

والظُّلْمُ مِنْ طَبعِ النِّظا * مِ فإنْ ظُلِمْتَ فلا تُمارْ (٦)

إنَّ الَّذِي بَرَأَ السَّدِيـ * ـمَ هو الَّذي بَرَأَ الغُبارْ (٧)

في العالَمِ العُلْوِيِّ والـ * ـسُّفْلِيِّ أحكامٌ تُدارْ

خُلِقَ الضَّعِيفُ لِخدمةِ الْـ * ـأَقْوَى وليس له خِيارْ

فتَقَوَّ يَرْهَبْكَ القَوِ * يُّ وهُنْ يُلازِمْكَ الصَّغارْ (٨)

---

(١) استل : انتزع . (٢) الدمار : الهلاك . (٣) مدى المطار : غايته .

(٤) السها : كوكب خفى لبعده ، وهو فى بنات نعش الصغرى . والفرقدان : نجمان يهتدى بهما .

(٥) البوار : الهلاك والدمار . (٦) ماراه يماريه مماراة : جادله ونازعه . يقول لا تنازع فى ظلم وقع عليك ولا تتبرم به ، فان تدبير العالم ونظامه يقتضيان وجود ظالم ومظلوم وقوى وضعيف .

(٧) برأ : خلق . والسديم : الضباب الرقيق .

(٨) هان يهون : ذل . والصغار : الذل .

فى الأَرضِ ما تَبْغُون مِنْ * عِـزٍّ وآمالٍ كِبارْ
فيها الحَديدُ وفيه بَأْ * سٌ يومَ يُمْتَهَنُ الذِّمارْ (١)
فيها الكُنُوزُ الحافِلا * تُ لمنْ تَبَصَّرَ وٱستَنارْ
منها ٱستَمَدَّ قُواهُ مَنْ * قَهَرَ الممالِكَ وٱستَعارْ (٢)
وبما ٱحتَوَتْ رَدَّ الحَصِيـ * ـفُ الرَّأْيِ غارةَ مَنْ أَغارْ (٣)
فى ذِمّةِ الآفاقِ سِرْ * وٱرجِعْ إلى تِلكَ الدِّيارْ (٤)
وٱجعَلْ تحيَّتَنا إلى * بَلَدٍ به للمُلْكِ دارْ (٥)
دارٌ علَيْهَا للخِلا * فَةِ والهُدَى رُفِعَ المَنارْ
دارُ الغُزاةِ الفاتِحِيـ * ـنَ الصَّفْوةِ الغُرِّ الخِيارْ
فى كلِّ حاضِرَةٍ لهمْ * غَزْوٌ ففَتْحٌ فٱنتِصارْ
ضَربُوا الزَّمانَ بسَوْطِ عِـ * ـزَّتِهِمْ فَلانَ لهمْ فَدارْ (٦)
يَمْشُونَ فى غَابِ القَنا * مَشْيَ المُرَنَّحِ بالعُقارْ (٧)

(١) الذمار (بالكسر) : ما يلزمك حفظه وحمايته . يقول : إن فى الأرض من الحديد ما تتخذ منه أسلحة نعتز بها وندفع كل من يحاول أن يعتدى علينا وينتهك من حرماتنا . (٢) « استعار » : معطوف على « استمد » ، أى استعار منها قوته وبأسه . (٣) حصيف الرأى : جيده ومحكمه وسديده .
(٤) يريد « بالديار » : بلاد تركيا موطن الطيار . (٥) يريد « بالبلد » : الآستانة مقر الخلافة .
(٦) دار ، أى دار الزمان لهم بما يشتهون . يقول : إنهم بما لديهم من عزة ومنعة قهروا الزمان على أن يواتيهم بما شاءوا . (٧) القنا : الرماح ؛ الواحدة قناة . شبهها بالغاب فى كثرتها واشتباك بعضها ببعض . والعقار (بالضم) : الخمر . والمرنح بها : الذى يتمايل فى مشيته سكرا ، شبه الجنود وقد ملئوا بنشوة الفرح بالقتال ، بشارب الخمر المترنح سكرا .

مِنْ كلِّ أَرْوَعَ فاتِكٍ (١) * لا يَسْتَشِير سِوَى الغِرارْ

ذِى مِرَّةٍ تُشْجِيه ذا (٢) * تُ النَّقْعِ لا ذاتُ الخِمار

يَغْشَى المَعامِعَ ضارِباً (٣) * بِحَياتِه ضَرْبَ القِمَار

لا يَنْثَنِى أو تَخْرُجَ الـ (٤) * أَجْرامُ عَنْ فَلَكِ المَدار

عَبَسَتْ لهُمْ أيّامُهُمْ (٥) * والعَبْسُ يَعْقُبُه ٱفتِرار

ما عابَهُمْ أنّ الصُّعُو * دَ يَلِيه فى الدَّهْرِ ٱنحِدار

فلِكُلِّ غادٍ رَوْحَةٌ (٦) * ولكلِّ وُضّاءٍ سِرار

ولَسَوْفَ يَعْلُو نَجْمُهُمْ (٧) * ويَسُودُ ذَيّاكَ الشِّعار

---

(١) الأروع : هو الذى يعجبك بشجاعته ومنظره . والغرار (بالكسر) : حدّ السهم والرمح والسيف .

(٢) المرة : قوة الخلق (بفتح الخاء) وشدّته واستحكامه . وذات النقع : الحرب لما تثيره من النقع ، وهو الغبار . والخمار (بالكسر) : ما تغطى به المرأة وجهها . يقول : إن الحرب تطرب هذا الفارس وتشوقه أكثر مما تشوقه النساء بجمالهن .

(٣) المعامع : الحروب ؛ الواحدة : معمعة . يقول : إن هذا الفارس يدخل الحرب مقامرا بحياته وسواء لديه أخسرها أم كسبها .

(٤) يصفه بالثبات والإقدام وأنه لا يرجع عن غايته حتى تخرج الكواكب عن أفلاكها فى الدوران .

(٥) العبس : العبوس . والافترار : التبسم والضحك الحسن .

(٦) الوضاء (بضم الواو وتشديد الضاد) : البهيج الحسن ؛ يريد البدر . والسرار (بكسر السين) : الليلة التى يستسر فيها القمر ، أى يختفى ، وذلك لا يكون إلا فى آخر الشهر ، وربما كان ليلة ، وربما كان ليلتين . وكنى بذلك عما ينتهى اليه كل نضرة وجمال من بلى وذهاب .

(٧) يريد « بالشعار » : الهلال ، وكان شعار الدولة العثمانية .

obeikandl.com

إلى معتمد بريطانيا فى مصر

قالها عند تعيين معتمد جديد لبريطانيا، وهو السر مكماهون

[نشرت فى يناير سنة ١٩١٥ م]

أَىْ (مَكْمَهُونُ) قَدِمْتَ بالْـ * ـقَصْدِ الحَمِيدِ وبالرِّعايَهْ

ما ذا حَمَلْتَ لنا عَنِ الْـ * ـمَلِكِ الكَبِيرِ وعن (غِرايَهْ)؟ (١)

أَوْضِحْ (لِمِصْرَ) الفَرْقَ ما * بَيْنَ السِّيادَةِ والحِمايَهْ

وأَزِلْ شُكُوكًا بالنُّفُو * سِ تَعَلَّقَتْ مُنْذُ البِدايَهْ

ودعِ الوُعُودَ فإنّها * فيما مَضَى كانتْ رِوايَهْ

أَضْحَتْ رُبُوعُ النِّيلِ سَلْ * ـطَنَةً وقد كانَتْ وِلايَهْ

فَتَعَهَّدُوها بالصَّلا * حِ وأَحْسِنُوا فيها الوِصايَهْ

إنّا لَنَشْكُو واثِقِي * نَ بعَدْلِ مَنْ يُشْكَى الشِّكايَهْ (٢)

نَرْجُو حَياةً حُرَّةً * مَضْمُونَةً فى ظِلِّ رايَهْ

ونَرُومُ تَعْلِيمًا يَكُو * نُ له مِنَ الفَوْضَى وِقايَهْ

ونَوَدُّ ألّا تَسْمَعُوا * فينا السِّعايَةَ والوِشايَهْ

أنتمْ أَطِبّاءُ الشُّعُو * بِ وأَنْبَلُ الأَقْوامِ غايَهْ

---

(١) غرايه، يريد السير إدوارد غراى، وزير خارجية إنجلترا إذ ذاك.

(٢) يقال: أشكيت فلانا، إذا قبلت شكواه وأرضيته وأزلت شكايته.

أنّى حَلَلْتُمْ فى البِلا * دِ لكُمْ مِنَ الإصْلاحِ آيَهْ
رَسَخَتْ بِنايَةُ مَجْدِكُمْ * فَوْقَ الرَّوِيَّةِ والهِدايَه (١)
وعَدَلْتُمُ فَمَلَكْتُمُ الـ * ـدُّنْيَا وفى العَدْلِ الكِفايَهْ
إنْ تَنْصُرُوا المُسْتَضْعَفِيـ * ـنَ فنَحْنُ أَضْعَفُهُمْ نِكايَهْ
أو تَعْمَلُوا لصَلاحِنا * فَتَدارَكُوه إلى النِّهايَهْ
إنّا بَلَغْنا رُشْدَنا * والرُّشْدُ تَسْبِقُه الغَوايَهْ
لَا تَأْخُذُونا بالكَلا * مِ فلَيْسَ فى الشَّكْوَى جِنايَهْ
هَذا (حُسَيْنٌ) فَوْقَ عَرْ * شِ (النِّيلِ) تَحْرُسُه العِنايَهْ
هُوَ خَيْرُ مَنْ يَبْنِى لنا * فَدَعُوه يَنْهَضُ بالبِنايَهْ

إلى غليوم الثانى امبراطور ألمانيا

قالها ينكر عليه إثارته الحرب العظمى وما ارتكبه فيها من الفظائع

[نشرت فى يناير سنة ١٩١٥ م]

لِلّهِ آثارٌ هُناكَ كَرِيمَةٌ * حَسَدَتْ رَوائِعَ حُسْنِها (بِرْلِينُ) (٢)
طاحَتْ بها تِلْكَ المَدافِعُ تارَةً * لمّا أَمَرْتَ وتارةً (زِبْلِينُ) (٣)

---

(١) يصف فى هذا البيت الانجليز بأنهم أسسوا مجدهم على التأنى فى الأمور، واتباع سواء السبيل .

(٢) يريد آثار الحضارة فى فرنسا وغيرها من الممالك التى خربها الألمان فى الحرب العظمى .

(٣) طاحت بها، أى محتها . وزبلين : يريد نوعا من الطائرات سمى باسم مخترعه، وهو الكونت زبلين الألمانى .

ما ذا رَأَيْتَ مِنَ النَّبَالة والعُلَا * فى عُدْمِهِنَّ وكُلُّهُنَّ عُيُونُ (١)

لو أنّ فى (بِرْلِينَ) عِنْدَكَ مِثْلَها * لعَرَفْتَ كيف تُجِلُّها وتَصُونُ

إنْ كنتَ أنتَ هَدَمْتَ (رِمْسَ) فإنّه * أَوْدَى بِمَجْدِكَ رُكْنُها المَوْهُونُ (٢)

لَمْ يُغْنِ عنها مَعْبَدٌ خَرَّبْتَه * ظُلْمًا ولَمْ يُمْسِكْ عِنانَكَ دِينُ

لا تَحْسَبَنَّ الفَخْرَ ما أَحْرَزْتَه * الفَخْرُ بالذِّكْرِ الجَمِيلِ رَهِينُ

هلْ شِدْتَ فى (بِرْلِينَ) غيرَ مُعَسْكِرٍ * قامَتْ عليه مَعاقِلٌ وحُصُونُ

وجَمَعْتَ شَعْبَكَ كلَّه فى قَبْضَةٍ * إنْ لَمْ تَكُنْ لانَتْ فسَوْفَ تَلِينُ

نَظَمَتْ تِجارَتُكَ المَدائِنَ والقُرَى * (فالنِّيلُ) ناءَ بِها وناءَ (السِّينُ) (٣)

فبكُلِّ أَرْضٍ مِنْ رِجالِكَ عُصْبَةٌ * وبكُلِّ بَحْرٍ مِنْ لُدُنْكَ سَفِينُ

تَسْرِى ونَسْرُكَ أَيْنَ لُحْنَ يُظِلُّها * لا اللَّيْثُ يُزْعِجُها ولا التِّنِّينُ (٤)

فالأَمْرُ أمرُكَ والمُهَنَّدُ مُغْمَدٌ * والنَّهْىُ نَهْيُكَ والسُّرَى مَأْمُونُ (٥)

---

(١) عدمهن ، أى فقدانهنّ وذهابهن .

(٢) رمس : مدينة فرنسية مشهورة بكنيستها التاريخية ، وقد خربها الألمان بمدافعهم فى الحرب الأخيرة ، ثم جدّدت بعد انتهائها . والموهون : الذى أدركه الوهن ، وهو الضعف والانحلال . يقول : إن اعتداءك على هذا البلد أظهرك بمظهر المخرّب فانهدم بذلك ما بنيته من مجد وفخر .

(٣) يقال : ناء بالحمل ، إذا أثقله ولم يقدر على حمله . والسين : نهر بفرنسا معروف .

(٤) يريد « بالنسر » : الراية الألمانية . والليث : إشارة إلى بريطانيا . والتنين : إشارة إلى اليابان . والمعنى أن سفن التجارة الألمانية تسير مظللة براية دولتها ، فلا تقدر أية دولة مهما عظمت أن تعوقها عن سبيلها .

(٥) المهند : السيف . والمعنى أن الأمر والنهى كلاهما لك فى أيام السلم .

obeikandl.com

قد كان فى (بِرْلِينَ) شَعْبُكَ وادِعاً * يستعمر الأَسْواقَ وهِىَ سُكُونُ (١)

فُتِحَتْ له أَبْوابُها فسَبِيلُها * وَقْفٌ عليه ورِزْقُه مَضْمُونُ

فعَلامَ أَرْهَقْتَ الورَى وأَثَرْتَها * شَعْواءَ فيها لِلهَلاكِ فُنُونُ؟ (٢)

تاللهِ لو نُصِرَتْ جُيُوشُكَ لانْطَوَى * أَجَلُ السَّلامِ وأَقْفَرَ المَسْكُونُ

سَبْعُونَ مِلْيُوناً إذا وَزَّعْتَها * بَيْنَ الحَواضِرِ نالَنا مِلْيُونُ

وَيْلٌ لِمَنْ يستعمرون بِلادَه * القَحْطُ أَيْسَرُ خَطْبِه والْهُونُ (٣)

أَكْثَرْتَ مِنْ ذِكْرِ الإلهِ تَوَرُّعاً * وزَعَمْتَ أَنَّكَ مُرْسَلٌ وأَمِينُ

عَجَباً أَتَذْكُرُه وتَمْلَأُ كَوْنَه * وَيْلاً لِيَنْعَمَ شَعْبُكَ المَغْبُونُ

وكذلِكَ القَصّابُ يَذْكُرُ رَبَّه * والنَّصْلُ فى عُنُقِ الذَّبِيحِ دَفِينُ

---

(١) الوادع : الساكن المطمئن . ويستعمر، يريد : يعمر . والذى وجدناه فى كتب اللغة أنه يقال : أعمره المكان واستعمره فيه ، أى جعله يعمره . وفى التنزيل العزيز : (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)، أى أذن لكم فى عمارتها . ولم نجد فى كتب اللغة ما شاع استعماله بين كتاب العصر من قولهم : استعمرت المكان (بالبناء للفاعل) بمعنى عمرته .

(٢) أرهقت الورى : ظلمتهم وحملتهم ما لا يطيقون . وشعواء، يريد غارة شعواء أى عامة شاملة .

(٣) الهون (بضم الهاء) : الذل .

الحـــرب العظمى

[نشرت فى ١٥ يوليه سنة ١٩١٥ م]

لاهُمَّ إنّ الغَرْبَ أَصْبَحَ شُعْلَةً (١) * مِنْ هَوْلِها أُمُّ الصَّواعِقِ تَفْرَقُ

العِلْمُ يُذْكِى نارَها وتُثيرُها * مَدَنِيَّةٌ خَرْقاءُ لا تَتَرَفَّقُ (٢)

ولقد حَسِبْتُ العِلْمَ فينا نِعمَةً * تَأْسو الضَّعيفَ ورَحمَةً تَتَدَفَّقُ (٣)

فإذا بِنِعْمَتِهِ بَلاءٌ مُرْهِقٌ * واذا بِرَحْمَتِهِ قَضاءٌ مُطْبِقُ (٤)

عَجَزَ الرُّماةُ عن الرُّماةِ فأَرْسَلُوا * كِسَفًا يَمُوجُ بها دُخانٌ يَخْنُقُ (٥)

تَتَعَوَّذُ الآفاقُ منه وتَنْثَنِي * عَنْهُ الرِّياحُ ويَتَّقِيهِ الفَيْلَقُ (٦)

وتَنابَلُوا بالكِيمياءِ فأَسْرَفُوا * وتساجَلُوا بالكَهْرَباءِ فأَغْرَقُوا (٧)

وتَنازَلُوا فى الجَوِّ حين بَدَا لَهُمْ * أنّ البَسيطَةَ عَنْ مَداهُمْ أَضْيَقُ

نَفِسُوا على الحِيتانِ واسِعَ مُلْكِها * فتَفَنَّنُوا فى سَلْبِه وتَأَنَّقُوا (٨)

مَلَكُوا مَسابِحَها عليْها بَعْدَ ما * غَلَبُوا النُّسُورَ على الجَواءِ وحَلَّقُوا (٩)

إنْ كان عَهْدُ العِلْمِ هَذا شَأْنُه * فِينا فعَهْدُ الجاهِلِيَّةِ أَرْفَقُ

(١) لاهم ، أى اللهمّ . وتفرق : تخاف وتفزع . (٢) يذكى نارها : يشعلها . والخرقاء : الحمقاء . ويشير الى أثر العلم فيما أوجد من مخترعات مهلكة فى الحرب . (٣) تأسو الضعيف ، أى تعمل على تقويته وتعالج ضعفه . (٤) مطبق : عام شامل . (٥) يريد « بالكسف » : قطع الدخان من الغازات السامة التى استعملت فى الحرب أخيرا ، شبهها بكسف السحاب ، أى قطعه ؛ الواحدة كسفة . (٦) الفيلق : الجيش العظيم . (٧) التنابل : الرّامى بالنبل . يشير إلى استعمال المواد الكيمائية وتسخير الكهرباء فى الإهلاك والتدمير . (٨) نفس عليه الشىء : حسده عليه ولم يره أهلا له . (٩) الجواء : جمع جو . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إلى استخدام الغواصات والطائرات فى الحروب .

obeikandl.com

مظاهرة السيدات

قالها فى مظاهرة قامت بها السيدات فى الثورة الوطنية فى سنة ١٩١٩ م

ونشرت إذ ذاك فى منشورات وطنية ، وتأخر نشرها فى الصحف إلى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩ م

خَرَجَ الغَوانِى يَحْتَجِجْـ * ـنَ ورُحْتُ أَرْقُبُ جَمْعَهُنّْ

فإذا بِهِنَّ تَخِذْنَ مِنْ * سُودِ الثِّيابِ شِعارَهُنّْ

فطَلَعْنَ مِثْلَ كَواكِبٍ * يَسْطَعْنَ فى وَسَطِ الدُّجُنّْ (١)

وأَخَذْنَ يَجْتَزْنَ الطَّرِيـ * ـقَ ودارُ (سَعْدٍ) قَصْدُهُنّْ

يَمْشِينَ فى كَنَفِ الوَقا * رِ وقد أَبَنَّ شُعُورَهُنّْ

وإذا بَجَيْشٍ مُقْبِلٍ * والخَيْلُ مُطْلَقَةُ الأَعِنّْ

وإذا الجُنودُ سُيُوفُها * قد صُوِّبَتْ لنُحُورِهِنّْ

وإذا المَدافِعُ والبَنا * دِقُ والصَّوارِمُ والأَسِنّْ (٢)

والخَيْلُ والفُرْسانُ قَدْ * ضَرَبَتْ نِطاقًا حَوْلَهُنّْ

والوَرْدُ والرَّيْحانُ فى * ذاكَ النَّهارِ سِلاحُهُنّْ

فتَطاحَنَ الجَيْشانِ سا * عاتٍ تَشِيب لها الأَجِنّْ

فتَضَعْضَعَ النِّسْوانُ والنِّسْوانُ ليسَ لهنّ مُنّْ (٣)

ثم انهَزَمْنَ مُشَتَّتا * تِ الشَّمْلِ نَحوَ قُصورِهِنّْ

---

(١) الدجنة : الظلمة . (٢) الصوارم : السيوف القواطع . (٣) المنة : القوّة .

obeikandl.com

فليَهْنَأ الجَيْشُ الفَخُو * رُ بنَصْرِه وبكَسْرِهِنَّهْ

فكأنّما الأَلْمانُ قد * لَبِسُوا البَرَاقِعَ بَيْنَهُنَّهْ

وأَتَوا (بهِنْدِنْبُرْجَ)[1] مُخْ * تَفِيًا بِمِصْرَ يَقُودُهُنَّهْ

فلذاكَ خافُوا بَأْسَهُنَّ * وأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنَّهْ

أياصوفيا[2]

قالها حين خيف على الآستانة أن تمتلكها دول الحلفاء وتنزعها من يد الأتراك وذلك عقب الحرب العظمى، وكانت جيوش تلك الدول قد احتلت هذه المدينة

[وتأخر نشر هذه القصيدة الى سنة ١٩٣٢ م]

(أياصُوفيا) حانَ التَّفَرُّقُ فاذكُرِي * عُهُودَ كِرامٍ فيكِ صَلُّوا وسَلَّمُوا[3]

اذا عُدْتِ يوما للصَّلِيبِ وأَهْلِه * وحَلَّى نَواحِيكِ المَسِيحُ ومَرْيَمُ[4]

ودُقَّتْ نَواقِيسٌ وقام مُزَمِّرٌ * مِنَ الرُّومِ فى مِحْرابِه يَتَرَنَّمُ

فلا تُنْكِرِي عَهْدَ المَآذِنِ إنّه * على اللهِ مِن عَهْدِ النَّواقِيسِ أَكْرَمُ

---

(١) هندنبرج، هو القائد الألمانى المعروف فى الحرب العظمى.

(٢) يلاحظ أننا راعينا فى وضع هذه القصيدة تاريخ قولها لا تاريخ نشرها، لأن مراعاة ذلك أجدى على مؤرخ الأدب.

(٣) أياصوفيا: أعظم مسجد فى القسطنطينية، وكان قبل الفتح العثمانى الكنيسة الأولى فى الشرق فحوّلها العثمانيون مسجدا.

(٤) يريد صورتى عيسى ومريم اللتين توضعان فى الكنائس عادة.

obeikandl.com

تَبارَكْتَ، (بَيْتُ القُدْسِ) جَدْلانُ آمِنٌ * ولا يَأْمَنُ (البَيْتَ العَتِيقَ)[1] المُحَرَّمُ

أَيُرْضِيكَ أنْ تَغْشَى سَنابِكُ خَيْلِهِمْ * حِماكَ وأَنْ يُمْنَى (الحَطِيمُ) و(زَمْزَمُ)؟[2]

وكيف يَذِلُّ المُسْلِمُونَ وبَيْنَهُمْ * كِتابُكَ يُتْلَى كلَّ يَوْمٍ ويُكْرَمُ؟

نَبِيُّكَ مَحْزُونٌ وبَيْتُكَ مُطْرِقٌ * حَياءً وأَنْصارُ الحَقِيقَةِ نُوَّمُ

عَصَيْنا وخالَفْنا فعاقَبْتَ عادِلًا * وحَكَّمْتَ فينا اليومَ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ

مصر

أنشدها فى الحفل الذى أقيم بفندق الكونتنتال لتكريم المرحوم عدلى يكن باشا بعد عودته من أوربا قاطعا المفاوضة مع الانجليز ومستقيلا من الوزارة . نشرت فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١م

وهذه القصيدة على لسان مصر تتحدث عن نفسها

وَقَفَ الخَلْقُ يَنْظُرونَ جَمِيعًا * كيف أَبْنِي قَواعِدَ المَجْدِ وَحْدِي

وبُناةُ الأَهْرامِ فى سالِفِ الدَّهْـ * ـرِ كَفَوْنِي الكَلامَ عند التَّحَدِّي

أَنا تاجُ العَلاءِ فى مَفْرِقِ الشَّرْـ * ـقِ ودُرَّاتُه فَرائِدُ عِقْدِي[3]

أَيُّ شَيْءٍ فى الغَرْبِ قد بَهَرَ النّا * سَ جَمالًا ولَمْ يَكُنْ منه عِنْدِي؟

---

(١) كنى «ببيت القدس والبيت العتيق» : عن معابد النصارى ومعابد المسلمين . يقول : إن معابد النصارى فى فرح وأمن ، ومعابد المسلمين فى خوف وفزع . (٢) سنابك الخيل : أطراف حوافرها ؛ الواحد سنبك . ويمنى : يبتلى ويصاب . والحطيم : ما بين الركن وزمزم والمقام . جعل سقوط الآستانة فى يد الإفرنج خطرا يخشى أن يمتد إلى البيت الحرام ، لأن فى سقوط الدولة العثمانية سقوطا لولاياتها . (٣) العلاء (بالفتح والمد) : الرفعة والشرف . والمفرق (كمقعد ومجلس) : وسط الرأس . والفرائد : الجواهر التى لا توائم لها لنفاستها ؛ الواحدة فريدة . ويريد «بدراته» : ممالك الشرق التى كان لمصر الزعامة عليها .

فـتُرابِي تِـبْرٌ ونَهْـرِي فُـراتٌ * وسَمـائِي مَصْقُـولَةٌ كالفِـرِنْدِ (١)

أيْنَمَا سِرْتَ جَدْوَلٌ عِنـد كَرْمٍ * عنـد زَهْرٍ مُدَبَّرٍ عنـد رَنْدِ (٢)

ورِجالِي لو أَنْصَـفُوهُمْ لَسـادُوا * مِنْ كُهُـولٍ مِلْءِ العُيُـونِ ومُرْدِ (٣)

لو أَصابُوا لَهُـمْ مَجـالًا لأَبْدَوْا * مُعْجِزاتِ الذَّكاءِ فِى كلِّ قَصْدِ

إنّهـمْ كالظُّبَـا أَلَحَّ عليهـا * صَدَأُ الدَّهْرِ مِنْ ثَواءٍ وغِمْدِ (٤)

فاذا صَيْـقَلُ القَضاءِ جَـلاها * كُـنَّ كالمَوْتِ مالَه مِنْ مَـرَدِّ (٥)

أنا إنْ قَـدَّر الإلٰهُ مَمـاتى * لا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرأسَ بَعْدِى

ما رَمانِى رامٍ وَراحَ سَـلِيمًا * مِنْ قَـدِيمٍ عِنـايَةُ اللهِ جُنْـدِى

كم بَغَتْ دَوْلَةٌ عَلَىَّ وجارَتْ * ثمّ زالَتْ وتلْكَ عُقْـبَى التَّعَـدِّى

إنّـنِى حُـرَّةٌ كَسَرْتُ قُيُودِى * رَغْمَ رُقْبَى العِدَا وقَطَّعْتُ قِـدِّى (٦)

وتَمـائَلْتُ للشَّـفاءِ وقَـد دَا * نَيْتُ حَيْنِى وهَيَّأَ القَـوْمُ لَحْـدِى (٧)

قُـلْ لِمَنْ أَنْكَرُوا مَفـاخِرَ قَـوْمِى * مِثْـلَ ما أَنْكَرُوا مَآثِرَ وُلْدِى

هَـلْ وَقَفْـتُمْ بِقِمَّةِ الهَـرَمِ الأَكْـ * ـبَرِ يومًا فَـرَيْتُمْ بَعْضَ جُهْـدِى؟ (٨)

---

(١) الفرات : العذب . والفرند : السيف . (٢) مدر، أى مختلف الألوان، أو مشرق مثلألئ . والزند : شجر طيب الرائحة، وله حب يقال له : الغار . (٣) ملء العيون، أى تعجبك مناظرهم . والمرد : جمع أمرد، وهو الشاب نبت شاربه ولم تنبت لحيته . (٤) الظبا : جمع ظبة؛ وهى حدّ السيف والسنان ونحوهما . والثواء : طول المكث . (٥) الصيقل : شاحذ السيوف وجاليها؛ والجمع صياقل وصياقلة . (٦) رقبى العدا، أى مراقبتهم لى . والقد : القيد يقدّ من جلد . (٧) الحين (بالفتح) : الهلاك . (٨) فريتم، أى فرأيتم .

هَلْ رَأَيْتُمْ تلك النُّقُوشَ اللَّواتِى * أَعْجَزَتْ طَوْقَ صَنْعَةِ المُتَحَدِّى؟ (١)

حالَ لَوْنُ النَّهارِ مِنْ قِدَمِ العَهْـ * ـدِ وما مَسَّ لونَها طُولُ عَهْدِ (٢)

هل فَهِمْتُمْ أَسرارَ ما كان عِنْدِى * مِنْ عُلُومٍ مَحْبُوءَةٍ طَىَّ بَرْدِى؟ (٣)

ذاكَ فَنُّ التَّحْنِيطِ قد غَلَبَ الدهـ * ـرَ وأَبْلَى البِلَى وأَعْجَزَ نِدِّى

قد عَقَدْتُ العُهودَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْ * نَ ففِى (مِصْرَ) كان أولُ عَقْدِ (٤)

إنّ مَجْدِى فى الأُولَياتِ عَرِيقٌ * مَن له مِثلُ أُولَياتِى ومَجْدِى؟ (٥)

أنا أُمُّ التَّشْرِيعِ قد أَخَذَ الرُّو * مانُ عَنِّى الأُصولَ فى كلِّ حَدّ (٦)

ورَصَدْتُ النُّجومَ مُنْذُ أَضاءَتْ * فى سَماءِ الدُّجَى فأَحْكَمْتُ رَصْدِى (٧)

وشَدا (بنتئور) فَوْقَ رُبوعِى * قَبْلَ عَهْدِ اليُونانِ أو عَهْدِ (نَجْدِ) (٨)

---

(١) الطوق : الطاقة والجهد . والمتحدى : المعارض الذى ينازعك الغلبة والفخر .

(٢) حال : تغير وتحوّل . (٣) البردى (بالتشديد وخفف للشعر) : نبات تعمل منه الحصر وكان يصنع منه الورق قديما . (٤) يشير إلى المحالفة التى عقدت بين رمسيس الثانى وملك الخثيين سنة ١٢٥٠ ق م على أن يمسكا عن الحروب ، وأن يكونا صديقين الى الأبد . وقد حدّدا فى تلك المحالفة حدود أملاكهما ، وهى أقدم محالفة عرفت فى التاريخ .

(٥) الأوليات ، أى السنين الأولى . (٦) يشير الى ما هو معروف من أن المصريين قديما كانوا مصدر القوانين الإدارية ، وعنهم أخذت الأمم المجاورة لهم ، وقد وفد اليهم من واضعى القوانين ليكرغ وصولون اليونانيان ، وعن اليونان أخذ الرومان .

(٧) كان المصريون من أقدم الأمم التى اشتغلت بعلم الفلك ؛ وقد ذكر مؤرّخو اليونان أن أمتهم أخذت هذا العلم عن المصريين ؛ وقد عثر فى بعض المقابر على آلات للرصد ومصوّرات لشكل السماء ومواقع نجومها . (٨) بنتاءور : أقدم شاعر عرفه التاريخ ، وهو مصرى . و« قبل عهد اليونان » ... الخ ، أى قبل شعراء اليونان وشعراء العرب .

وقديما بَنَى الأَساطِيلَ قَوْمِى * فَفَرَقْنَ البِحارَ يَحْمِلْنَ بَنْدِى (١)

قَبْلَ أُسْطُولِ (نِلسن) كان أُسْطُو * لِى سَرِيًّا وطالِعِى غيرَ نَكْدِ (٢)

فَسَلُوا البَحْرَ عن بَلاءِ سَفِينِى * وسَلُوا البَرَّ عن مَواقِعِ جُرْدِى (٣)

أَتُرانِى وقد طَوَيْتُ حَياتِى * فى مِراسٍ لَمْ أَبْلُغِ اليَوْمَ رُشْدِى ؟

أىُّ شَعْبٍ أَحَقُّ مِنِّى بعَيْشٍ * وارِفِ الظِّلِّ أخضرِ اللَّوْنِ رَغْدِ ؟ (٤)

أَمِنَ العَدْلِ أَنَّهُمْ يَرِدُونَ الْـ * ـماءَ صَفْوًا وأَنْ يُكَدَّرَ وِرْدِى ؟

أَمِنَ الحَقِّ أنهمْ يُطْلِقُونَ الْـ * ـأُسْدَ منهمْ وأَنْ تُقَيَّدَ أُسْدِى ؟

نِصْفُ قَرْنٍ إلّا قليلا أُعانِى * ما يُعانِى هَوانَه كلُّ عَبْدِ

نَظَرَ اللهُ لى فأَرْشَدَ أَبْنا * ئِى فشَدُّوا إلى العُلَا أىَّ شَدِّ

إنّما الحَقُّ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الدَّيْـ * ـانِ أَمْضَى مِنْ كلِّ أبيَضَ هِنْدِى (٥)

قد وَعَدْتُ العُلا بكلِّ أَبِىٍّ * مِن رِجالِى فأَنْجِزُوا اليومَ وَعْدِى

أَمْهِرُوها بالرُّوحِ فهى عَرُوسٌ * تَشْنَأُ المَهْرَ مِنْ عُرُوضٍ ونَقْدِ (٦)

---

(١) فرقن البحار : شققنها . والبند : العلم الكبير . وقد ذكر المؤرخون أن نخاو من ملوك مصر القدماء، كان قد أرسل عددا من الملاحين للطواف بسفنهم حول إفريقية ، فأتموا سياحتهم فى ثلاث سنين .

(٢) نلسن ، هو أمير البحر الإنجليزى الذى أحرق أسطول نابليون بونابرت فى موقعة أبى قير المعروفة . والنكد : الشؤم .

(٣) الجرد : الخيل . ويريد الجيوش البرية .

(٤) الوارف من الظلال : الواسع الممتد .

(٥) الأبيض الهندى : السيف .

(٦) تشنأ : تكره . والعروض : جمع عرض (بالتحريك) ، وهو كل شىء سوى الدراهم والدنانير .

وَرِدُوا بى مَنَاهِلَ العِزِّ حتّى * يَخْطُبَ النجمُ فى المجَرَّةِ وُدِّى (١)

وٱرْفَعُوا دَوْلَتِى على العِلْمِ والأَخْـ * ـلاقِ فالعِلْمُ وَحْدَهُ ليس يُجْدِى (٢)

وتَواصَوْا بالصَّبْرِ فالصبرُ إنْ فا * رَقَ قوماً فما لَهُ مِنْ مَسَدِّ (٣)

خُلُقُ الصَّبْرِ وَحْدَه نَصَرَ القَوْ * مَ وأَغْنَى عن ٱخْتِراعٍ وعَدِّ (٤)

شَهِدُوا حَوْمَةَ الوَغَى بنُفُوسٍ * صابِراتٍ وأَوْجُهٍ غيرِ رُبْدِ (٥)

فمَحَا الصَّبْرُ آيةَ العِلْمِ فى الحَرْ * بِ وأَنْحَى على القَوِىِّ الأَشَدِّ (٦)

إنّ فى الغَرْبِ أَعْيُنًا راصداتٍ * كَحَلَتْهَا الأَطْماعُ فيكمْ بسُهْدِ (٧)

فَوْقَهَا مِجْهَرٌ يُرِيها خَفايَا * كُمْ ويَطْوِى شُعاعُه كلَّ بُعْدِ (٨)

فاتّقُوها بجُنَّةٍ مِنْ وِئامٍ * غيرِ رَثِّ العُرَا وسَعْىٍ وكَدِّ (٩)

وٱصفَحُوا عن هَناتِ مَنْ كان منكمْ * رُبَّ هافٍ هَفَا على غَيْرِ عَمْدِ (١٠)

---

(١) « يخطب النجم ... الخ » : كناية عن العلوّ والرفعة . (٢) يجدى : ينفع .

(٣) من مسدّ ، أى من شىء يقوم مقامه . (٤) يريد « بالقوم » : الإنجليز ، وذلك لما اشتهروا به من الصبر والأناة . (٥) الوغى : الحرب ، لما فيها من الجلبة والصوت . وحومتها : ساحتها . وربد : عابسة متجهمة ، الواحد أربد . (٦) يريد « بآية العلم » : ما اخترعه العلم من أسلحة . وأنحى عليه : أقبل عليه بالإضعاف والإهلاك . ويريد « بالقوى الأشد » : الألمان .

(٧) « كحلتها الأطماع ... الخ » ، أى إن طمع الغربيين فيكم جعل أعينهم يقظة لا تذوق النوم ، تحين بكم الفرص . (٨) المجهر : المنظار . (٩) الجنة (بالضم) : ما وقاك فى الحرب . والرث : البالى . ويريد « بالعرا » : الصلات والروابط ، الواحدة عروة . (١٠) الهنات : جمع هنة ، وهى اليسير المحتمل من الزلات . ويشير بهذا البيت إلى اختلاف الزعماء الذى بدأت بوادره فى ذاك الحين على رآسة المفاوضات الرسمية .

نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِفًا تَعْثُرُ الآ * رَاءُ فيه وعَثْرَةُ الرأْيِ تُرْدِى (١)

ونُعِيرُ الأَهْوَاءَ حَرْبًا عَوَانًا * مِنْ خِلافٍ والخُلْفُ كالسُّلِّ يُعْدِى (٢)

وتُثِيرُ الفَوْضَى على جانِبَيْهِ * فيُعِيدُ الجَهولُ فيها ويُبْدِى (٣)

ويَظُنُّ الغَوِىُّ أَنْ لا نِظامٌ * ويَقُولُ القَوِىُّ قد جَدَّ جِدِّى

فَقِفُوا فيه وَقْفَةَ الحَزْمِ وارْمُوا * جانِبَيْهِ بعَزْمَةِ المُسْتَعِدِّ

إِنَّنا عند فَجْرِ لَيْلٍ طَوِيلٍ * قد قَطَعْنَاهُ بَيْنَ سُهْدٍ ووَجْدِ

عَمَرَتْنَا سُودُ الأَهَاوِيلِ فيه * والأَمانِى بَيْنَ جَزْرٍ ومَدِّ (٤)

وتَجَلَّى ضِياؤُه بَعْدَ لَأْيٍ * وهو رَمْزٌ لعَهْدِىَ المُسْتَرَدِّ (٥)

فاسْتَبِينُوا قَصْدَ السَّبِيلِ وجِدُّوا * فالمَعَالى مَحْظُوبَةٌ لِلْمُجِدِّ (٦)

تصريح ٢٨ فبراير

[نشرت فى أول ابريل سنة ١٩٢٢ م]

مالِىَ أَرَى الأَكْمَامَ لا تُفَتِّحُ * والرَّوْضَ لا يَذْكُو ولا يُنَفِّحُ (٧)

والطَّيْرَ لا تَلْهُو بتَدْوِيمِها * فى مُلْكِها الواسِعِ أَوْ تَصْدَحُ (٨)

---

(١) تردى : تهلك . (٢) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى ، كأنهم جعلوا الأولى بكرا ، وهى أشدّ الحروب . (٣) الضمير فى قوله « جانبيه » يعود على قوله « موقفا » المتقدّم ذكره . (٤) الأهاويل : جمع أهوال . (٥) بعد لأى ، أى بعد إبطاء واحتباس ومشقة .
(٦) قصد السبيل : الطريق المستقيم . (٧) الأكمام : جمع كم (بكسر الكاف) ، وهو غطاء الزهر . ويذكو : تسطع رائحته . وينفح : يفوح طيبه . ويلاحظ أننا لم نجد فى كتب اللغة « نفح » بتشديد الفاء ؛ فلعل حافظا رأى هذه الصيغة فى كلام بعض المولدين . (٨) تدويم الطائر : تحليقه فى الهواء . وتصدح : ترفع صوتها بالغناء .

والنِّيلَ لا تَرْقُصُ أَمْواهُه * فَرْحَى ولا يَجْرِى بها الأَبْطَحُ (١)

والشمسَ لا تُشْرِقُ وُضّاءَةً * تَجْلُو هُمومَ الصَّدْرِ أَو تَنْزِحُ (٢)

والبَدْرَ لا يَبْدُو على ثَغْرِه * مِنْ بَسَماتِ اليُمْنِ ما يَشْرَحُ

والنَّجْمَ لا يَزْهَرُ فى أُفْقِه * كأنّه فى غَمْرَةٍ يَسْبَحُ (٣)

أَلَمْ يَجِئْها نَبَأٌ جاءَنا * بأنّ مِصْرًا حُرَّةٌ تَمْرَحُ؟ (٤)

أَصْبَحْتُ لا أَدْرِى على خِبْرَةٍ * أجَدَّتِ الأَيّامُ أَمْ تَمْزَحُ؟

أَمَوْقِفٌ للجِدِّ نَجْتازُه * أَمْ ذاكَ لِلّاهِى بِنا مَسْرَحُ؟

أَلْمَحُ لاسْتِقْلالِنا لَمْعَةً * فى حالِكِ الشَّكِّ فأَسْتَرْوِحُ (٥)

وتَطْمِسُ الظُّلْمَةُ آثارَها * فأَنْثَنى أُنْكِرُ ما أَلْمَحُ

قد حارَتِ الأَفْهامُ فى أَمْرِهِمْ * إنْ لَمَّحُوا بالقَصْدِ أَوْ صَرَّحُوا (٦)

فقائِلٌ لا تَعْجَلُوا إنّكمْ * مَكانَكُمْ بالأَمْسِ لم تَبْرَحُوا (٧)

وقائِلٌ أَوْسِعْ بها خُطْوَةً * وَراءَها الغايةُ والمَطْمَحُ

وقائِلٌ أَسْرَفَ فى قَوْلِه : * هٰذا هُوَ استِقْلالُكُمْ فافْرَحُوا

---

(١) الأمواه : جمع ماء . والأبطح : المسيل الواسع للماء . (٢) وضاءة : ذات حسن وبهجة . وتنزح (من بابى منع وضرب)، أى تنزح الهم وتفنيه وتذهبه، وأصله من نزح البئر، وهو الاستقاء من مائها حتى ينفد أو يقل . (٣) يزهر : يضىء ويتلألأ . ويريد «بالغمرة» : الماء الكثير . (٤) تمرح : من المرح (بالتحريك)، وهو شدة الفرح . (٥) الحالك : الشديد السواد . واسترواح إلى الشىء : سكن إليه واطمأن . (٦) الضمير فى «أمرهم» للإنجليز . (٧) لا تعجلوا، أى لا تعجلوا بالفرح وتهنئة بعضكم بعضا بهذا الاستقلال المزعوم، فإن حالتكم لم يغيرها هذا التصريح .

إنْ تَسْأَلُوا العَقْلَ يَقُلْ عاهِدُوا * واسْتَوْثِقُوا فى عَهْدِكُمْ تَرْبَحُوا

وأَسِّسُوا دارًا لِنُوّابِكُمْ * لِلرَّأْيِ فيها والحِجَا أَفْسِحُوا (١)

ولْتَذْكُرِ الأُمّةُ مِيثاقَها * أَلّا تَرَى عِزَّتَها تُجْرَحُ

وتَنْتَخِبْ صَفْوَةَ أَبْنائِها * فِمْنْهُمُ المُخْلِصُ والمُصْلِحُ

ولْيَتّقِ اللهَ أُولُو أَمْرِها * أَنْ يُسْكِتُوا الأَصْواتَ أَوْ يُرْفِحُوا (٢)

* * *

أو تَسْأَلُوا القَلْبَ يَقُلْ حاذِرُوا * وصابِرُوا أَعْداءَكُمْ تُفْلِحُوا (٣)

إنِّى أَرَى قَيْدًا فلا تُسْلِمُوا * أَيْدِيَكُمْ فالقَيْدُ لا يُسْجِحُ (٤)

إنْ هَيَّأُوهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ * فهو على لِينٍ به أَفْدَحُ

حَتّامَ — والصَّبْرُ له غايةٌ — * لِغَيْرِنا مِنْ بِئْرِنا نَمْتَحُ؟ (٥)

حَتّامَ — والأَمْوالُ مَشْفُوهَةٌ — * نَمْنَحُ إلّا (مِصْرَ) ما نَمْنَحُ؟ (٦)

حَتّامَ يُمْضِى أَمْرَنا غَيْرُنا * وذاكَ بالأَحْرارِ لا يَمْلُحُ؟

---

(١) يلاحظ أننا لم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة أنه يقال : أفسحت له فى المكان (بالهمز فى أوله)، والذى وجدناه أنه يقال : فسحت له فيه . قال تعالى : (فافسحوا يفسح الله لكم) .

(٢) يريد بقوله «يرفحوا» : أنهم ينفون من خالفهم فى سياستهم إلى رفح (بالتحريك)، وهى مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط معروفة، كما كانوا يفعلون قبل هذا التصريح .

(٣) صابروا أعداءكم، أى غالبوهم فى الصبر .

(٤) لايسجح، أى لايفرج عمن تقيد به ولا يفلته .

(٥) متح الماء من البئر يمتحه متحا : استخرجه منها .

(٦) المشفوه : الذى كثرت عليه الأيدى حتى استنفد .

أَسَاءَ بَعْضُ النَّاسِ فى بَعْضِهِمْ * ظنا وقد أَمْسَوْا وقَدْ أَصْبَحُوا (١)

فَانْتَهَزَتْ أَعْدَاؤُنَا نُهْزَةً * فينا وما كانت لهم تَسْنَحُ (٢)

فالرَّأْىُ كُلُّ الرَّأْىِ أَنْ تُجْمِعُوا * فإنّما إجْماعُكُمْ أَرْبَحُ

وكُلُّ مَنْ يَطْمَعُ فى صَدْعِكُمْ * فإنّه فى صَخْرَةٍ يَنْطَحُ (٣)

أَخْشَى إذا اسْتَكْثَرْتُمُ بَيْنَكُمْ * مِنْ قَادَةِ الآراءِ أَنْ تُفْضَحُوا

فَلْتَقْصِدُوا ما اسْطَعْتُمُ فيهِمُ * فإنّما فى القِلّةِ المَنْجَحُ

عيد الاستقلال

[نشرت فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٣ م تحت عنوان : (بين اليقظة والمنام)]

أَشْرِقْ فَدَتْكَ مَشَارِقُ الإصْباحِ * وأَمِطْ لِثَامَكَ عن نَهارٍ ضاحِى (٤)

بُورِكْتَ يا يَوْمَ الخَلاصِ ولا وَنَتْ * عنكَ السُّعودُ بِغُدْوَةٍ ورَواحِ

باللهِ كُنْ يُمْنًا وكُنْ بُشْرَى لنا * فى رَدِّ مُغْتَرِبٍ وفَكِّ سَراحِ (٥)

---

(١) يشير بهذا البيت إلى اختلاف الأحزاب السياسية . وخبر « أمسوا » « وأصبحوا » محذوف للعلم به ، أى أمسوا وأصبحوا يتبادلون سوء الظن واتهام بعضهم بعضا بالخيانة .

(٢) النهزة : الفرصة . وتسنح : تلوح . (٣) يقال : نطح فى صخرة ، إذا صعب عليه ما يريد من صدع واتشقاق . وأصله من قول الأعشى :

كناطح صخرة يوما ليوهنها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(٤) أمط لثامك ، أى اكشف قناعك ؛ يخاطب عيد الاستقلال . والنهار الضاحى : المشرق .

(٥) يشير بقوله « فى رد مغترب ... الخ » : الى المغفور له سعد زغلول باشا وكان منفيا إذ ذاك فى جبل طارق بعد أن كان مع صحبه فى جزيرة سيشل .

أَقْبَلْتَ والأَيَّامُ حَوْلَكَ مُثَّلٌ (١) * صَفَّيْنِ تَخْطِرُ خَطْرَةَ المَيّاحِ

وَخَرَجْتَ مِنْ حُجُبِ الغُيُوبِ مُحَجَّلًا (٢) * فى كلِّ لَحْظٍ مِنكَ أَلْفُ صَباحِ

لو صَحَّ فى هٰذا الوُجودِ تَناسُخٌ * لَرَأَيْتُ فيكَ تَناسُخَ الأَرْواحِ

وَلَكُنْتَ يومَ (اللّابرنت) بَعَيْنِهِ (٣) * فى عِزَّةٍ وجَلالَةٍ وسَماحِ

يومٌ يُرِيكَ جَلالُهُ ورُواؤُهُ (٤) * فى الحُسْنِ قُدْرَةَ فالِقِ الإِصْباحِ

خَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ حُلَّةَ عَسْجَدٍ (٥) * وحَباهُ (آذارٌ) أَرَقَّ وِشاحِ

اللهُ أَثْبَتَهُ لنا فى لَوْحِهِ (٦) * أَبَدَ الأَبِيدِ فما لَهُ مِنْ ماحِ

حَيِّهِ عَنّا يا أَزاهِرُ وامْلَئِى (٧) * أَرْجاءَهُ بأَرِيجِكِ الفَوّاحِ

وانْفَحْهُ عَنّا يا رَبِيعُ بكلِّ ما (٨) * أَطْلَعْتَ مِنْ رَنْدٍ ونَوْرٍ أَقاحِ

تِهْ يا (فُؤادُ) فحَوْلَ عَرْشِكَ أُمَّةٌ (٩) * عَقَدَتْ خَناصِرَها على الإِصْلاحِ

أَبناؤُنا ـ وهُمُ أَحاديثُ النَّدَى ـ (١٠) * لَيْسُوا على أَوْطانِهِمْ بشِحاحِ

صَبَرُوا على مُرِّ الخُطوبِ فأَدْرَكُوا * حُلْوَ المُنَى مَعْسُولَةَ الأَقْداحِ

---

(١) المياح : المتبختر فى مشيته ، وهو ضرب حسن من المشى . (٢) محجلا : مضيئا وأصله من التحجيل فى الخيل ، وهو بياض فى قوائمها . (٣) اللابرنت : قصر أمنحتب الثانى الذى اشتهر فى قديم الزمان بعظمته ، وكان مقرا للحكومة . ويريد « بيومه » : أيام أمنحتب التى كانت كلها خيرا وبركة على مصر . (٤) فالق الإصباح ، هو الله تعالى . (٥) العسجد : الذهب . وآذار : شهر من شهور السنة المسيحية معروف ، تكثر فيه الأزهار . (٦) أبد الأبيد : كناية عن الدوام . (٧) أريج الزهر : رائحته . (٨) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . والأقاحى : جمع أقحوان ، وهو نبات له زهر أبيض ، وأوراق زهره صغيرة مفلجة ؛ وتشبه به الثغور . (٩) عقد الخناصر على الأمر : كناية عن الإجماع على القيام به . (١٠) الندى : الجود . وشحاح : بخلاء .

obeikandl.com

شاكى سلاح الصبر ليس بأعزل (١) * يغزوه رب عوامل وصفاح

الصبر - إن فكرت - أعظم عدة * والحق - لو يدرون - خير سلاح

قد أنكروا حق الضعيف فهل أتى (٢) * إنكار ذاك الحق فى إصحاح ؟

كم خدرت أعصاب مصر نوافح (٣) * لوعودهم كنوافح التفاح

فتعلل المصرى مغتبطا بها (٤) * أرأيت طفلا علله بداح ؟

وتأنقوا فى الحلف حتى أصبحت (٥) * أقوالهم تذرى بغير رياح

لما تنبه بالكنانة نائم (٦) * وأصات بالشكوى الأليمة صاحى

وتكشفت تلك الغياهب وانطوت (٧) * وبدت شموس الحق وهى ضواحى

علموا بحمد الله أن قرارنا (٨) * فى ظل غير الله غير متاح

فاليوم قرى يا كنانة واهدئى * حرم الكنانة لم يكن بمباح

من ذا يغير على الأسود بغابها * أو من يعوم بمسبح التمساح ؟

---

(١) شاكى سلاح الصبر، أى المتسلح به . والعوامل : هى صدور الرماح مما يلى أسنتها ؛ الواحد عامل وعاملة . والصفاح : السيوف . يقول : إن الصبور متسلح ليس بأعزل يطمع فيه ذو الرمح والسيف .

(٢) الإصحاح : من الأقسام التى تنقسم اليها أسفار التوراة والانجيل . يقول : هل أحل لكم إنكار حق الضعيف فى كتاب سماوى ؟

(٣) نوافح التفاح : روائحه . وكان الشاعر يعتقد أن نفحة التفاح منوّمة ، فكان لهذا يكثر من شمه وأكله ، نقل ذلك عنه أحد من اتصلوا به .

(٤) الداح : نقش يلوح به للصبيان يعللون به .

(٥) تأنقوا فى الحلف ، أى أتقنوه . وتذرى : تطير وتنتثر . (٦) أصات : صوت وصاح .

(٧) الغياهب : الظلمات ؛ الواحد غيهب . والضواحى : المشرقة . (٨) غير متاح : غير ممكن .

للنِّيلِ مَجْدٌ فى الزّمانِ مُؤَثَّلٌ (١) * مِنْ عَهْدِ (آمُونٍ) وعَهْدِ (فتاح)

فَسَلِ العُصُورَ به وسَلْ آثارَه * فى (مِصْرَ) كَمْ شَهِدَتْ مِنَ السُّيّاحِ

يا صاحِبَ القُطْرَيْنِ غَيرَ مُدافَعٍ (٢) * ما مِثْلُ ساحِلكَ فى العُلا مِنْ ساحِ

لَمْ يَبْدُ نُورٌ فَوْقَ نُورٍ يُجْتَلَى (٣) * كالتّاجِ فَوْقَ جَبِينِكَ الوَضّاحِ

ذَكَرَتْ بعَرْشِكَ (مِصْرُ) يَوْمَ وَلِيتَه (٤) * عَرْشَ (المُعِزِّ) بها وعَرْشَ (صَلاحِ)

فى كلِّ قُطْرٍ مِنْ جَلالِكَ رَوْعَةٌ (٥) * ولِكلِّ قُطْرٍ مِنكَ ظِلُّ جَناحِ

لكَ (مِصْرُ) و(السُّودانُ) والنَّهرُ الّذى * يَخْتالُ بينَ رُبًى وبَيْنَ بِطاحِ

وبَواسِقُ (السُّودانِ) تَشْهَدُ أنّها (٦) * غُرِسَتْ بعَهْدِ جُدودِكَ الفُتّاحِ

لا غَرْوَ إنْ غَنّى بمَدْحِكَ صائِحٌ (٧) * أو مُسْجِعٌ فى حَلْبَةِ المُدّاحِ

حُسْنُ الغِناءِ مع الصِّياحِ كَحُسْنِه (٨) * عندَ الخَبِيرِ به مع الإسْجاحِ

---

(١) المؤثل : المؤصل الثابت . وأمون : كان أجل معبود لقدماء المصريين حتى عهد الخناتون ، وكان اسمه يدمج فى أسماء الملوك ، فيقال : أمينحتب . وفتاح : يريد به منفتاح بن رمسيس الثانى .

(٢) صاحب القطرين : ملك مصر والسودان . (٣) يجتلى : يرى .

(٤) يريد « بالمعز » : المعز لدين الله الخليفة الفاطمى المعروف . و « بصلاح » : السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

(٥) يشير بهذا البيت الى عطف المغفور له (الملك فؤاد) على أقطار الشرق .

(٦) البواسق : الأشجار المرتفعة ؛ الواحدة : باسقة .

(٧) مسجع ، الصواب فيها : سائح ، أى سابح فى غنائه كما تسجع الحمامة ، اذ المستعمل فى هذا المعنى « سجح » لا « أسجح » . يقول : سيان من رفع صوته بمدحك ، أو من أرسله فى هدوء ولين .

(٨) يريد بالإسجاح : السجع بالغناء ؛ وقد تقدّم التنبيه على خطأ هذا الاستعمال فى الحاشية التى قبل هذه .

obeikandl.com

أو لم يكن لكَ مُلْكُ مِصْرَ ونِيلُها * يَنْسابُ بين مُرُوجِها الأَفْياحِ؟ (١)

مَنْضُورَةَ الجَنّاتِ حالِيَةَ الرُّبَا * مَطْلُولَةَ السَّرَحاتِ والأَرْواحِ (٢)

قد قال (عَمْرٌو) فى ثَراها آيَةً * مَأْثُورَةً نُقِشَتْ على الأَلْواحِ: (٣)

بَيْنا تَراهُ لآلِئًا وكأنّما * نُثِرَتْ بتُرْبَتِهِ عُقُودُ مِلاحِ

وإذا به للنّاظِرِين زُمُرُدٌ * يَشْفِيكَ أَخْضَرُهُ مِنَ الأَتْراحِ

وإذا به مِسْكٌ تَشُقُّ سَوادَه * شَقَّ الأَدِيمِ مَحارِثُ الفَلّاحِ (٤)

البَرْلَمانُ تَهَيَّأَتْ أَسْبابُهُ * لَمْ يَبْقَ مِنْ سَبَبٍ سِوَى المِفْتاحِ

هُوَ فى يَدَيْكَ وَدِيعَةٌ لرَعِيَّةٍ * تُثْنِي بأَلْسِنَةٍ عليكَ فِصاحِ

رُدَّ الوَدِيعَةَ يا (فُؤادُ) فإنّما * رَدُّ الوَدِيعَةِ شِيمَةُ المِسْماحِ (٥)

وانْهَضْ بشَعْبِكَ يا (فُؤادُ) إلى العُلا * وإلى مَكانٍ فى الوُجُودِ بَراحِ (٦)

---

(١) المروج : الأراضى الواسعة فيها نبت كثير . والأفياح ، أى الواسعة .

(٢) منضورة : حسنة بهيجة . وحالية الربا ، أى مكسوة المرتفعات بانواع الزهر والنبات . ومطلولة ، أى أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف الخفيف . والسرحات : جمع سرحة ، وهى الشجرة العظيمة . والأرواح : الرياح .

(٣) يريد "بعمرو" : عمرو بن العاص فاتح مصر . ويشير "بالآية" : الى ما روى من أن عمرا وصف مصر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصفا ممتعا معروفا جاء منه هذه المعانى التى يضمنها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بعد .

(٤) يشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله الى أحوال ثلاث : حال تربة مصر أيام الفيضان والماء يغمرها ، ثم حالها وقد تكشفت عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها ، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء ، فشبهها فى الحالة الأولى باللؤلؤ فى بياضه ، وفى الثانية بالزمرد فى خضرته ، وفى الثالثة بالمسك فى سواده . وقد وردت هذه المعانى فى وصف عمرو لمصر .

(٥) المسماح : الكثير السماح .

(٦) البراح : المكان الذى لاستترة فيه من شجر وغيره ؛ يريد مكانا ظاهرا للعالم .

obeikandi.com

فالله يَشْهَدُ والخَلائِقُ أنّنا * طُلّابُ حَقٍّ فى الحَياةِ صِراحِ (١)

هٰذا مَنارُ البَرْلَمانِ أمامَكُمْ * لِهُدَى السَّبيلِ كإبْرَةِ المَلّاحِ (٢)

فَتَيَمَّمُوهُ مُخْلِصينَ فما لَكُمْ * مِنْ دُونِهِ مِنْ غِبْطَةٍ وفَلاحِ (٣)

الفَصْلُ للشُّورى وتِلْكَ هى الّتى * تَزَعُ الهَوَى وتَرُدُّ كلَّ جِماحِ (٤)

هى لا تَضِلُّ سَبِيلَها فكأنّما * خُلِقَ السَّبِيلُ لها بغَيْرِ نَواحِى

هى — لا بَراحَ — تَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ * وتَفُلُّ غَرْبَ الغاصِبِ المُجْتاحِ (٥)

فَتَكَنَّفُوا الشُّورَى على اسْتِقْلالِكُمْ * فى الرأْيِ لا تُوحِيهِ نَزْعَةُ واحِى (٦)

ويَدُ الإلٰهِ مع الجَماعةِ فاضْرِبُوا * بعَصَا الجماعَةِ تَظْفَرُوا بنَجاحِ

كونُوا رِجالًا عامِلِينَ وكَذِّبُوا * — والصُّبْحُ أبْلَجُ — حامِلَ المِصْباحِ (٧)

ودَعُوا التَّخاذُلَ فى الأُمُورِ فإنّما * شَبَحُ التَّخاذُلِ أنْكَرُ الأشْباحِ

---

(١) الصراح (بالكسر) وهو أفصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذى لا شائبة فيه .

(٢) إبرة الملاح : هى التى يتبين بها الجهات ويهتدى بها فى السير .

(٣) تيمموه ، أى اقصدوا إليه .

(٤) تزع الهوى : تكفه وتزجره .

(٥) لا براح ، أى لاريب . وتفل : تثلم وتكسر . والغرب : الحدّ .

(٦) تكنفوا الشورى : أحيطوا بها والزموها . وقوله « لا توحيه نزعة واحى » ، أى اصدروا عن رأيكم ولا تلقوا الأمر عن غيركم . والواحى : من وحيت إليه الكلام ، بمعنى أوحيته إليه .

(٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليونانى ديوجينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد خرج يوما فى رائعة النهار يحمل مصباحا يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا الفيلسوف الذى ينكر وجود رجل يعتد به ويعتمد عليه .

obeikandl.com

والله ما بَلَغَ الشَّقاءُ بِنَا المَدَى * بسِوَى خِلافٍ بيننا وتَلاحِى (١)

قُمْ يابنَ (مِصرَ) فأنتَ حُرٌّ واسْتَعِدْ * مَجْدَ الجُدودِ ولا تَعُدْ لِمَراحِ (٢)

شَمِّرْ وكافِحْ فى الحَياةِ فهٰذِه * دُنْياكَ دارُ تَناحُرٍ وكِفاحِ

وانْهَلْ مع النُّهّالِ مِنْ عَذْبِ الحَيَا * فإذا رَقَا فامْتَحْ مع المُتّاحِ (٣)

وإذا أَلَحَّ عليكَ خَطْبٌ لا تَهُنْ * واضْرِبْ على الإلحاحِ بالإلْحاحِ (٤)

وخُضِ الحياةَ وإنْ تَلاطَمَ مَوْجُها * خَوْضَ البِحارِ رِياضَةُ السَّبّاحِ

واجْعَلْ عِيانَكَ قبلَ خَطْوِكَ رائِدًا * لا تَحْسَبَنَّ الغَمْرَ كالضَّحْضاحِ (٥)

وإذا اجتَوَتْكَ مَحَلَّةٌ وتَنَكَّرَتْ * لكَ فاعْدُها وانْزَحْ مع النُّزّاحِ (٦)

فى البَحْرِ لا تَثْنِيكَ نارُ بَوارِجٍ * فى البَرِّ لا يَلْوِيكَ غابُ رِماحِ

وانظُرْ إلى الغَرْبِىِّ كيف سَمَتْ به * بينَ الشعوبِ طَبِيعَةُ الكَدّاحِ (٧)

واللهِ ما بَلَغَتْ بَنُو الغَرْبِ المُنَى * إلّا بِبَيِّناتٍ هُناكَ صِحاحِ

رَكِبُوا البِحارَ وقد تَجَمَّدَ ماؤُها * والجَوَّ بينَ تَناوُحِ الأَرْواحِ (٨)

---

(١) التلاحى : التخاصم . (٢) يريد «بالمراح» : الأخذ فى أسباب الفرح واللهو .

(٣) انهل : اشرب ، من النهل (بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . والحيا : المطر . ورقا (مسهل من رقأ بالهمز) ، بمعنى جف وانقطع . والمتح : نزح الماء من البئر . ينصح المصرى بأن يرد موارد الحياة سهلها وصعبها . (٤) لا تهن ، أى لا تذل ولا تضعف . (٥) الغمر : الماء الكثير . والضحضاح : الماء القريب الغور . (٦) اجتواه : كرهه . يقول : إذا نابك منزل ، وتعذرت عليك الإقامة به فاهجره إلى غيره وارتحل عنه مع المرتحلين . (٧) الكداح : الجاد المجتهد فى العمل .

(٨) تناوح الأرواح : اختلاف مهاب الرياح .

obeikandl.com

والبرّ مصهور الحصى متأججا (١) * يرمي بنزاع الشوى لواح

يلقى فتيهم الزمان بهمة * عجب ووجه في الخطوب وقاح (٢)

ويشق أجواز القفار مغامرا * وعر الطريق لديه كالصحصاح (٣)

وابن الكنانة في الكنانة راكد * يرنو بعين غير ذات طماح (٤)

لا يستغل - كما علمت - ذكاءه * وذكاؤه كالخاطف اللماح (٥)

أمسى كماء النهر ضاع فراته * في البحر بين أجاجه المنداح (٦)

فانهض ودع شكوى الزمان ولا تنح * في فادح البؤسى مع الأنواح (٧)

وارتج لمصر برأس مالك عزة * إن الذكاء حبالة الأرباح (٨)

وإذا رزقت رآسة فانسج لها * بردين من حزم ومن إسجاح (٩)

واشرب من الماء القراح منعما * فلكم وردت الماء غير قراح (١٠)

---

(١) المصهور : الذي أصابه الحرّ وحمى عليه . والمتأجج : الملتهب . والشوى : اليدان والرجلان وقحف الرأس . يصف البر بأنه يقذف بحرّ شديد ينزع الشوى . وفي القرآن في وصف النار : (كلا إنها لظى نزاعة للشوى) . ولواح ، أي حرّ مغير للألوان .

(٢) وقاح : مجتريء .

(٣) أجواز القفار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والصحصاح : ما استوى من الأرض .

(٤) يرنو : ينظر . والطماح : الطموح والتطلع إلى المجد .

(٥) الخاطف اللماح : البرق .

(٦) الفرات : العذب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمنداح : المنبسط المتسع .

(٧) يقال : فدحه الأمر ، إذا أثقله وبهظه . والأنواح : النائحات .

(٨) حبالة الصائد : الشرك الذي يصيد به .

(٩) الإسجاح : حسن العفو .

(١٠) الماء القراح : الصافي الخالص . يريد العيش الصافي من الأكدار .

obeikandl.com

من قصيدة فى شؤون مصر السياسية

قالها فى عهد وزارة إسماعيل صدقى باشا

وقد نظمها حافظ بعد إحالته الى المعاش فى سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتى بيت

لم نعثر منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عامٌ يا سُعادُ وعامُ * وابْنُ الكِنَانَةِ فى حِماهُ يُضَامُ

صَبُّوا البَلاءَ على العِبادِ فنِصْفُهُمْ * يَجْبِى البِلادَ ونِصْفُهُمْ حُكّامُ

أَشْكُو الى (قَصْرِ الدُّبارَةِ) ما جَنَى * (صِدْقِى الوَزِيرُ) وما جَبَى (عَلّامُ)(١)

ومنها فى الإنجليز :

قُلْ للُحايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِماءَنا * تَجْرِى وهَلْ بَعْدَ الدِّماءِ سَلامُ؟(٢)

سُفِكَتْ مَوَدَّتُنا لَكُمْ وبَدا لَنا * أَنَّ الحِيادَ على الخِصامِ لِئامُ

إِنَّ المَراجِلَ شَرُّها لا يُتَّقَى * حتّى يُنَفِّسَ كَرْبَهُنَّ صِمامُ(٣)

لَمْ يَبْقَ فِينا مَنْ يُمَنِّى نَفْسَه * بِوِدادِكُمْ فوِدادُكُمْ أَحْلامُ

أَمِنَ السِّياسَةِ والمُرُوءَةِ أَنَّنا * نَسْقَى بِكُمْ فى أَرْضِنا ونُضامُ؟

إِنّا جَمَعْنا لِلجِهادِ صُفُوفَنا * سَنَمُوتُ أو نَحْيا ونَحْنُ كِرامُ

ومنها فى مخاطبة إسماعيل صدقى باشا :

ودَعَا عليكَ اللهَ فى مِحْرابِهِ * الشَّيْخُ والقِسِّيسُ والحاخامُ

لا هُمَّ أَحْيِ ضَمِيرَهُ لِيَذُوقَها * غُصَصًا وتَنْسِفَ نَفْسَهُ الآلامُ

---

(١) يريد محمد علام باشا وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب . ويشير بقوله «وما جبى علام» : الى ما كانوا يجبونه من الأموال إعانة لحزب الشعب . (٢) أشار بقوله «الحايد» : إلى أن الانجليز فى هذه الفترة التى قيلت فيها هذه الأبيات كانوا يدّعون الحياد فى الشؤون المصرية . (٣) المراجل : القدور .

obeikandl.com

إلى الإنجليز :

[نشرت فى ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

بَنَيْتُمْ على الأَخْلَاقِ آساسَ مُلْكِكُمْ * فكانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ ذِمامُ (١)

فمالِي أَرَى الأَخلاقَ قد شابَ قَرْنُها * وحَلَّ بها ضَعْفٌ ودَبَّ سَقامُ (٢)

أَخافُ عَلَيْكُمْ عَثْرَةً بَعْدَ نَهْضَةٍ * فلَيْسَ لِمُلْكِ الظَّالِمِينَ دَوامُ

أَضَعْتُمْ وِدادًا لو رَعَيْتُمْ عُهُودَه * لَما قامَ بَيْنَ الأُمَّتَيْنِ خِصامُ

أَبَعْدَ حِيادٍ لا رَعَى اللهُ عَهْدَه * وبَعْدَ الجُروحِ النَّاغِراتِ وِئامُ (٣)

اذا كانَ فى حُسْنِ التَّفاهُمِ مَوْتُنا * فليسَ على باغِى الحَياةِ مَلامُ (٤)

الى المندوب السامى

[نشرت فى ١١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

أَلَمْ تَرَ فى الطَّرِيقِ الى (كِيادِ) * تَصِيدُ البَطَّ بُؤْسَ العالَمِينا؟ (٥)

أَلَمْ تَلْمَحْ دُمُوعَ الناسِ تَجْرِى * مِنَ البَلْوَى أَلَمْ تَسْمَعْ أَنِينَا؟

أَلَمْ تُخْبِرْ بَنِى التَّامِيزِ عَنَّا * وقد بَعَثُوكَ مَنْدُوباً أَمِينا

بِأَنَّا قد لَمَسْنا الغَدْرَ لَمْسًا * وأَصْبَحَ ظَنُّنا فيكُمْ يَقِينا؟

---

(١) الذمام : الحق والحرمة .
(٢) القرن : الذؤابة من الشعر .
(٣) الناغرات : الداميات .
(٤) يقول : إذا كان حسن التفاهم بيننا و بينكم يجلب لنا الموت بالذل والاستعباد كان سوء التفاهم خيرا لنا ، لأن فيه حياتنا .
(٥) كياد : بركة بإقليم الشرقية اعتاد أن يذهب اليها المندوب السامى وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور .

obeikandl.com

كَشَفْنَا عَنْ نَوَايَاكُمْ (١) فَسُمْتُمْ * وقد بَرِحَ الخَفاءُ مُحايِدِينَا

سَنُجْمِعُ أَمْرَنا وتَرَوْنَ مِنَّا (٢) * لَدَى الجُلَّى كِراماً صابِرِينا

ونَأْخُذُ حَقَّنا رَغْمَ العَوادِي * تُطِيفُ بِنا ورَغْمَ القاسِطِينا

ضَرَبْتُمْ حَوْلَ قادَتِنا نِطاقاً (٤) * مِنَ النِّيرانِ يَعْيِي الدّارِعِينا

على رَغْمِ المُرُوءَةِ قد ظَفِرْتُمْ (٥) * ولكنْ بالأُسُودِ مُصَفَّدِينا

الأخلاق والحياد

قالها وكان الإنجليز إذ ذاك يدّعون الحياد فى الشؤون المصرية

[نشرا فى ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

لاتَذْكُرُوا الأَخْلاقَ بَعْدَ حِيادِكُمْ (٦) * فُصابُكُمْ ومُصابُنا سِيّانِ

حارَبْتُمُ أَخْلاقَكُمْ لِتُحارِبُوا (٧) * أَخْلاقَنا فتَأَلَّمَ الشَّعْبانِ

---

(١) لم نجد فى كتب اللغة (النوايا) جمع نية، كما استعمله الشاعر هنا، وهو جمع شائع فى كلام أهل العصر، وهو من غلطاتهم؛ والقياس: نيات . وبرح الخفاء، أى وضح الأمر وتبين . (٢) الجلى: النازلة الشديدة . (٣) القاسطون: الظالمون . (٤) الدارعون: لابسو الدروع . يشير بهذا البيت وما بعده الى ما كان يصبه الإنجليز على زعماء النهضة الوطنية المصرية من أنواع العذاب من سجن ونفى واعتقال ومحاصرة بيوتهم بالجنود . (٥) المصفد: المقيد .

(٦) يخاطب الإنجليز فى هذا البيت ويقول: إنكم بهذا الحياد المكذوب تضيعون ما عرفتم به من الأخلاق الفاضلة، فلا تدّعوها لكم بعد، فصابكم فى الأخلاق بهذا الطمع والظلم كمصابنا باختلالكم .

(٧) يشير (بالأخلاق) المضافة إلى الإنجليز فى هذا البيت إلى ما عرفوا به من الصبر والأناة وعدم الأخذ بالقسوة والعنف . وبالأخلاق المضافة الينا، الى ما أظهرناه فى نهضتنا الوطنية من صبر على الجهاد واستمساك بحقوق البلاد . يقول . إنكم أيها الإنجليز بقسوتكم على المصريين تحاربون أخلاقكم السالفة الذكر فى سبيل محاربة أخلاقنا، فكلا الشعبين متألم، لأنه يحارب فيما طبع عليه .

ثمن الحياد

[نشرت فى ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

لقد طَالَ الحِيادُ ولَمْ تَكُفُّوا * أَمَا أَرْضَاكُمُ ثَمَنُ الحِيادِ ؟

أَخَذْتُمْ كلَّ ما تَبْغُون مِنَّا * فما هٰذا التَّحَكُّمُ فى العِبادِ ؟

بَلَوْنَا شِدَّةً منكم ولِينا * فكان كِلاهُمَا ذَرَّ الرَّمَادِ

وسالَمْتُمْ وعادَيْتُمْ زَمانًا * فلَمْ يُغْنِ المُسالِمُ والمُعادِى

فَلَيْسَ وراءَكُمْ غَيْرُ التَّجَنِّى * ولَيْسَ أَمامَنَا غَيْرُ الجِهادِ

إلى الإنجليز

[نشرت فى ٢٨ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

حَوَّلُوا النِّيلَ وأَحْجُبُوا الضَّوءَ عَنَّا * وأَطمِسُوا النَّجْمَ وأَحرِمُونَا النَّسِيمَا

وأَمْلَئُوا البَحْرَ إنْ أَرَدْتُمْ سَفِينًا * وامْلَئُوا الجَوَّ إنْ أَرَدْتُمْ رُجُومَا

وأَقِيمُوا لِلعَسْفِ فى كلِّ شِبْرٍ * (كُنْسْتَبْلًا) بالسَّوْطِ يَفْرِى الأَدِيمَا (١)

إنَّنا لَنْ نَحُولَ عن عَهْدِ مِصْرٍ * أو تَرَوْنَا فى التُّرْبِ عَظْمًا رَمِيمَا

عاصِفٌ صانَ مُلْكَكُمْ وحِمَاكُمْ * وكَفَاكُمْ بالأَمْسِ خَطْبًا جَسِيمَا

(١) العسف : الظلم والأخذ بالقوة . ويفرى الأديم : يشق الجلد .

obeikandl.com

غالَ (أَرْمادَةَ) العَدُوَّ ففُزْتُمْ * وبَلَغْتُمْ فى الشَّرْقِ شَأْوًا عَظِيمَا (١)

فعَدَلْتُمْ هُنَيْهَةً وبَغَيْتُمْ * وتَرَكْتُمْ فى النِّيلِ عَهْدًا ذَمِيمَا

فشَهِدْنا ظُلْمًا يُقالُ له العَدْ * لُ وُدًّا يَسْقِى الحَمِيمَ الحَمِيمَا (٢)

فاتَّقُوا غَضْبَةَ العَواصِفِ إنِّى * قد رَأَيْتُ المَصِيرَ أمْسَى وَخِيمَا

الحياد الكاذب

[نشرت فى سنة ١٩٣٢م]

(قَصْرَ الدُّبارَةِ) قَدْ نَقَضْـ * ـتَ العَهْدَ نَقْضَ الغاصِبِ

أَخْفَيْتَ ما أَضْمَرْتَه * وأَبَنْتَ وُدَّ الصاحِبِ

الحَرْبُ أَرْوَحُ للنُّفُو * سِ مِنَ الحِيادِ الكاذِبِ

جلاء الإنجليز عن مصر

قالها تندبدا بكاتب فرنسى كان قد زعم أن جلاء الانجليز عن مصر سيكون فى أكتوبر

كم حَدَّدُوا يومَ الجَلاءِ الّذى * أَصْبَحَ فى الإبْهامِ كالمَحْشَرِ

وسَنَّ قَوْمُ الطَّيْشِ مِنْ جَهْلِهِمْ * كِذْبَةَ (إبريلَ لأكْتُوبَرِ)

---

(١) غال : أهلك . وأرمادة : هى الأسطول الأسبانى الذى كان يريد مهاجمة الأسطول الانجليزى فى القرن السادس عشر ، فتحطم بعاصفة شديدة حالت بينه وبين مهاجمته . وإلى هذه القصة يشير الشاعر بهذا البيت والذى قبله . ويشير بقوله « وبلغتم فى الشرق » : إلى كثرة مستعمرات الانجليز فيه .

(٢) يريد «بالحميم» الأول : الصديق . و «بالحميم» الثانى : الشراب الشديد الحرارة .

الامتيازات الأجنبية

سَكَتُّ فأَصْغَرُوا أَدَبِي * وقُلْتُ فأَكْبَرُوا أَرَبِي (١)

وما أَرْجُوهُ مِنْ بَلَدٍ * به ضاقَ الرَّجاءُ وَبِي؟

وهَلْ (فى مِصْرَ) مَفْخَرَةٌ * سِوَى الأَلْقابِ والرُّتَبِ؟

وذِى إِرْثٍ يُكاثِرُنا * بِمالٍ غيرِ مُكْتَسَبِ (٢)

وفى الرُّومِىِّ مَوْعِظَةٌ * لِشَعْبٍ جَدَّ فى اللَّعِبِ (٣)

يُقَتِّلُنا بلا قَوَدٍ * ولا دِيَةٍ ولا رَهَبِ (٤)

ويَمْشِى نَحْوَ رايَتِهِ * فتَحْمِيهِ مِن العَطَبِ (٥)

فقُلْ للفاخِرِين: أَمَا * لِهٰذا الفَخْرِ مِنْ سَبَبِ؟

أَرُونِى بَيْنَكُمْ رَجُلًا * رَكِينًا واضِحَ الحَسَبِ (٦)

أَرُونِى نِصْفَ مُخْتَرِعٍ * أَرُونِى رُبْعَ مُحْتَسِبِ (٧)؟

أَرُونِى نادِيًا حَفْلًا * بِأَهْلِ الفَضْلِ والأَدَبِ؟

وماذا فى مَدارِسِكُمْ * مِن التَّعْلِيمِ والكُتُبِ؟

---

(١) الأرب : العقل . (٢) كاثره بماله : فاخره بكثرته .

(٣) يريد « بالشعب » : الشعب المصرى . وجدّ فى اللعب : أى استمرّ عليه وواظب .

(٤) القود : القصاص . والرهب (بالتحريك) : الخوف . (٥) العطب : الهلاك .

(٦) الركين : الرزين . (٧) يريد « بالمحتسب » : العالم بتدبير الأموال والتصرف فيها على أحسن وجه ؛ ومنه قولهم : « فلان محتسب البلد » .

وماذا فى مَساجِدِكُمْ * مِنَ التَّبْيانِ والحُطَبِ؟

وماذا فى صَحائِفِكُمْ * سِوَى التَّمْويهِ والكَذِبِ؟

حَصائِدُ أَلْسُنٍ جَرَّتْ * إلى الوَيْلاتِ والحَرَبِ (١)

فَهُبُّوا مِنْ مَراقِدِكُمْ * فإنَّ الوَقْتَ مِنْ ذَهَبِ

فهٰذى أُمَّةُ (اليابا * نِ) جازَتْ دارَةَ الشُّهُبِ (٢)

فهامَتْ بالعُلا شَغَفًا * وهِمْنا بابْنَةِ العِنَبِ (٣)

---

(١) حصائد الألسنة : ما تقتطعه من الكلام الذى لا خير فيه ، الواحدة حصيدة ، تشبيها له بما يحصد من الزرع إذا جذ . وفى حديث معاذ : « وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم » . والحرب (بالتحريك) : الهلاك .

(٢) الدارة : المنزل .

(٣) ابنة العنب : الخمر .